ماذا تعرف عن رجاء جارودي ؟

الفيلسوف الماركسي الذي أسلم

بقلم

أ.علي القاضي

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٥ هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م

مقدمة

رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الفرنسي مر بمراحل كثيرة في دول كثيرة والتقى بالمسلمين وبغيرهم وقد درس الشيوعية والرأسمالية والإسلام وغيرهم وحاز على مناصب كثيرة في كثير من الدول .

وكان جريئا في حديثه عن الإسلام وعن نقده للحضارة الغربية وعن نقده لإسرائيل وما تقوم به، واتهم بعدة تهم منها معاداته للسامية وحكم عليه بالسجن أكثر من مرة وبالإعدام ولكنه لم يهن ولم يضعف ودعا الغربيين إلى معرفة الإسلام والدخول فيه والإيمان بمفاهيمه وأخلاقه .

وقد أصبح عمره الآن فوق التسعين ولكنه لم يهن ولم يضعف ولا زال يدعو إلى الله على بصيرة ويبين للغربيين محاسن الإسلام ومساوئ الحضارة الغربية في كل اتجاهاتها .

يقول جارودي : لقد انتشر الإسلام بسرعة لأنه أعطى من جديد معنى لحياة الشعوب بسبب تفكك جماعاتهم، والأمة الإسلامية قامت على التجربة المشتركة من أجل إعلاء كلمة الله، لقد أمر الإسلام باحترام وحماية أهل الكتاب، والإسلام لا يعرف الحرب المقدسة بل يعرف الجهاد في سبيل الله، والإنسان هو خليفة الله في الأرض وهو المسئول عن التوازن والانسجام في الطبيعة وبين الناس.

والشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تنقسم إلى جزأين :

الجزء الأول من الشهادة : لا إله إلا الله يحدد الحركة التصاعدية لإدراك أن الله واحد وأنه الحقيقة الوحيدة .

الجزء الثاني من الشهادة : محمد رسول الله يحدد الحركة النازلة لأن محمدا هو المثال الأعلى لكل حقيقة تعتبر وحيا من الله ورمزا له .

والقرآن الكريم هو أداة الاتصال بين الله وبين الناس وهو كلام الله المعجز الذي

يخاطب به البشر من خلال آياته التي أنزلها .

والإسلام هو الاستسلام والخضوع لإرادة الله فكل ما في الوجود خاضع لله ومستسلم له والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يملك الاختيار في أن يختار الإسلام أو يرفضه وهو لذلك يتحمل المسئولية الكاملة .

لقد انتشر الإسلام بسرعة لأنه أعطى من جديد معنى لحياة الشعوب المضللة بسبب تفكك الجماعات وقد اعترف الوحي بشرعية أنبياء التوراة والإنجيل على أنهم رسل من الله تعالى لقد وضعت التهم لكن المسلم يكرم إبراهيم وموسى وعيسى ويعترف بهم ولا يكون المسلم مسلما إلا إذا اعترف بهم، يقول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، والأمة الإسلامية أمة قامت على إعلاء كلمة الله وعمارة الأرض طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

وقد كتبت كتابا عنوانه (لماذا أسلمنا ؟) وكان ممن كتبت عنهم (رجاء جارودي) ، ولكنني رأيت أنه يستحق أن أكتب عنه كتابا خاصا لأنه لقي ما لقي في سبيل الدعوة الإسلامية فما وهن وما ضعف كما أنه ألف عدة كتب عن الإسلام وألقى محاضرات كثيرة في كثير من الدول عن الإسلام دافع فيها عن الإسلام وكتب مقالات كبيرة في عدد من الصحف والمجلات يدعو فيها الناس إلى الدخول في الإسلام والنظر إليه بعين سليمة حتى ينقذوا أنفسهم وينقذوا هذا العالم الحائر التائه الذي لا يكون له مخرج إلا بالدخول في الإسلام والالتزام بمفاهيم الإسلام قولا وعاطفة وسلوكا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

علي القاضي

رجاء جارودي ولد لأب بروتستانتي وكان يعمل محاسبا وصار عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ودخل مكتبه السياسي في عام ١٩٥٦م إلى ١٩٥١م ثم أصبح (سيانيرا) في مجلس الشيوخ عن منطقة السين من ١٩٥٩م إلى ١٩٦٢م لحساب الحزب الشيوعي الفرنسي .

وقد أبعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي في ٦ من فبراير سنة ١٩٧٠م، وذلك بسبب ذلك النقد الذي اعتبره أعضاء الحزب خروجا عن الالتزام الحزبي وفي عام ١٩٧٥م ألف كتابه (كلام الرجال) الذي أكد فيه تخليه عن الشيوعية وانتقاله إلى الدين المسيحي ثم كتب في كتبه عن كنه المسيحية الكنسية، وقال :(إن الكنائس المسيحية تروج بعض الأخطاء اليهودية، وإن شعب الله المختار هو العدو اللدود لجارودي) .

وقد ترك المسيحية لسببين :

الأول : العقيدة المسيحية التي تعتنقها الكنيسة تحمل معتقدات تلتقي فيها مع المعتقدات الصهيونية .

الثاني : أن جارودي يعتقد أن الإسلام هو الدين الأكمل .

ويرجع جارودي تعاسة المسلمين إلى تمزق صف العرب ويرى أن رجال الحركة الإسلامية يبحثون عن شخصيتهم في الإسلام .

وقد أسلم جارودي بعد أربعين عاما من المطالعة والتفكير درس خلالها الدين الإسلامي والحضارة الغربية وألف عشرين كتابا في معالجة قضايا الإسلام والحضارة الغربية وكان أخرها كتاب مبشرات الإسلام .

ما الذي جذبه إلى الإسلام :

لقد درس جارودي الإسلام ليجد حلولا لمشكلات الحياة العلمية، وقد وجد ذلك في الإسلام الذي جعل من أهدافه الصريحة أن يعمل الإنسان للدنيا وللآخرة في وقت واحد .

لقد فتح جارودي عينيه على الإسلام في الوقت الذي كان قلبه يمتلئ بالكثير من

عطاء الفكر الإنساني لذلك فإن توجهه لم يكن شبيها بتوجه المستشرقين الذين اهتموا بتاريخ الشرق تاريخيا واجتماعيا ، لقد كان اهتمامه واضحا في وجهة نظر ناضجة حول قضايا العصر التي كانت بادية الأثر في الأوساط المثقفة من وجه لآخر وكان يذهل هذه الأوساط بتحليلات مركزة للحضارة الغربية وكانت تحليلاته تحليلات ناقد بصير استوعب ثقافة هذا العصر وعرف أهواءه .

وقد صرح قبل إشهاره الإسلام لإحدى المجلات الباريسية : (بأن خلاص العالم من أزمته يكمن في إتباع المنهج الإسلامي) .

وقد لاحظ جارودي أن الحضارة الإسلامية لم يحدث فيها هذا الفصل وهذه التجزئة بين الأشياء ، ففي الإسلام العلم يتصل بالدين والعمل يرتبط بالإيمان والفلسفة مستوحاة من النبوة ، والنبوة متصلة بالعقل والأرض غير بعيدة عن السماء والسماء على اتصال بالأرض والتقدم الحضاري يسير صاعدا نحو الله ، وهذه الوحدانية في مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزأ في كل شيء يقول جارودي : (وهذا ما جذبني نحو المفهوم الإسلامي للوجود) .

نعم هناك رسالة واحدة أبدية خالدة في هذا الكون وقد جاءت النبوات المتعددة في مراحل مختلفة لتقدم الأشكال المناسبة من تلك الرسالة الواحدة - كل في مرحلته وبطريقته وأسلوبه - والإسلام يقر بوجود هذه الرسالة الواحدة وينطلق منها ويعمل لاكتمالها ، وعلى المسلمين اليوم استيحاء روح الإسلام لتطبيقها على المرحلة الجديدة بالشكل المناسب الذي يلائمها ولا بد من استنباط هذا الشكل الجديد الذي يلائم روح العصر وتلك هي المهمة التي تنتظرهم .

إن أهم ما يميز الإسلام أنه لا يفصل بين الدين والدنيا وأن الافتراض النظري القائل بأن الدين يحرف الإنسان في كل زمان ومكان ويبعده عن النضال والعمل إنما هو افتراض يتناقض تناقضا واضحا مع الدافع التاريخي بصفة عامة ومع الدافع التاريخي للإسلام بصفة خاصة .

لقد كان الإسلام عاملا أساسيا في كل حركات التحرر التي قامت بها الشعوب المستعبدة في عصرنا .

إن النضالات الوطنية الأولى قد انطلقت تحت راية الجهاد في سبيل الوطن ولقد كان الإسلام في هذه النضالات رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاستبداد والاستعمار وكانت الضمان لاستمرار وحدة اللغة والثقافة وكانت تتجسد في كل القيم النقية التي لم تكن متوفرة في ظل الاستعمار ، وقد وجدت في الإسلام نظاما اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة .

تسامح الإسلام :

يتميز الإسلام بانفتاحه على الحضارات الأخرى وتسامحه ويتجلى ذلك في قبوله أفرادا وجماعات غير مسلمين يعيشون في مجتمعه بل ويقوم بحمايتهم ومنهم اليهود والنصارى - بل وتقلدهم وظائف هامة في الحكومة الإسلامية في فترات عديدة - وقد حظي الجميع بكامل الحقوق والرعاية وسمحت السلطات لغير المسلمين بممارسة شعائر دينهم دونما تضييق عليهم .

الجهاد الأكبر : ويتدرج جارودي في كتابه قائلا : (إن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح ، ولم يسل النبي السيف إلا في حالة الدفاع عن النفس وهو يشير إلى قوله (" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ") .

ويعني به مجاهدة النفس ، ويعلق جارودي على هذا الحديث بقوله : (يعد هذا الموقف النبوي درسا هاما لكثير من الثوريين الذين يحاولون تغيير كل شيء ما عدا أنفسهم ، لقد كان الصليبيون في القدس والأسبان إبان مطاردة المسلمين في الأندلس والأوربيون في أثناء استعمار بلاد الهنود الحمر بأمريكا يقومون بأعمال بشعة بسبب فرض النصرانية وهم أول من يناقضها في كل الأوقات) .

الله فوق كل شيء :

ويسير جارودي إلى هذا المبدأ الإسلامي وهذا يعني أن البشر جميعا سواسية وهذا

ما جعل الإسلام دعوة لتحرير الشعوب المقهورة سياسيا واقتصاديا ودينيا . ويقول : (لقد منح هذا المبدأ الأمل لجميع المضطهدين وطمأن قلوبهم وسرعان ما انضموا إلى صفوفه وساعدوه على مناهضة إمبراطوريات كبرى مثل فارس وبيزنطة - فانهارت الواحدة تلو الأخرى أمامه - ولم تكن قوته تقارب بقوة تلك الممالك عددا ولا عدة فمن السذاجة حقا تصور انهيار تلك الكيانات أمام السلام) ، ثم يقول : (إن الفتح الإسلامي لم يشكل استعمارا فقد استقبل مثلا شعب أسبانيا الفاتحين المسلمين الذين أنقذهم من طغيان وغطرسة سلطات بلادهم الروحية والزمنية فلم يقاوموهم بل تقبلوهم فرحين ولعل أصدق صورة تعكس هذه الحقيقة هي أن العرب فتحوا الأندلس في سنتين فقط في حين استمروا في الأندلس ثمانية قرون) .

الحضارة الإسلامية تسهم في دفع عجلة الحضارة :

يواصل جارودي حديثه عن الإسلام وحضارته فيقول : (لقد وضع المسلمون قواعد التجارة البحرية حتى في فترة الحرب ، ولم يدون الغرب شيئا من ذلك إلا في عام ١٣٤٠م في برشلونة بالأندلس بعد اقتباس الكثير من القواعد الإسلامية إثر عودة الصليبيين من فلسطين ، ومدونة ألفونس العاشر التي تشتمل في قسمها العاشر على تشريع حول الحرب لم تكن إلا انتحالا لكتاب ألف في الأندلس في ذلك الوقت في هذا الموضوع وكان النص الإسلامي يعالج كيفية حماية الأطفال والنساء والعجزة وكيفية الالتزام بالعهود والمواثيق وقت الحرب ، وفي هذا الصدد يذكر الكاتب أن أطباء المسلمين في فلسطين كانوا يتعهدون معسكر النصارى إثر المعارك فيعالجون جرحاهم ، بل لقد تهذبت الفروسية في أوربا بفضل الاحتكاك الذي حدث بين المسلمين والأوربيين .

حقوق المرأة :

ويتحدث جارودي عن إعطاء المرأة حقوقها فيقول : (إن القرآن منح المرأة حق امتلاك الأموال دون قيد أو شرط بينما لم تنل هذا الحق في أغلب تشريعات الغرب

إلا في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ولم يعتبر القرآن المرأة مسئولة عن الخطأ الأول في الأكل من الشجرة وإنما الخطأ كان موجها إلى أدم عليه السلام.

العلم والعقيدة:

ويتحدث جارودي عن الفرق بين نظرية الحضارة الغربية ونظرية الإسلام بالنسبة للعلم والعقيدة، فيقول: (تاريخ العلوم والتقنيات في الغرب يرتكز على فرضية حتمية حيث يقاس تقدم العلوم والتقنية بمدى فاعليتها لضمان تداول السيطرة على الطبيعة والإنسان دون أن يكون هناك هدف واضح).

العلوم في أوربا النصرانية:

يقول جارودي: (إن الإسلام هو دين التوحيد وهو لذلك ينفي التفريق بين العلم والعقيدة إذ أن كل ما هو موجود في الطبيعة دليل على وجود الله تعالى حيث تصبح المعرفة الطبيعية نوعا من العبادة فلا غرو أن يعمل المسلمون على اندماج الثقافة العلمية العالمية لتستفيد منها البشرية جمعاء على حين تجمدت العلوم في أوربا النصرانية لأن الكنيسة أبدت موقفا تجاه الطبيعة زاعمة أنها تبعد عن الله، وهكذا استمرت النصرانية تحارب العلوم عبر تاريخها، بينما انطلق العلم في الإسلام من مبدأ الوحدانية حيث لا مجال للتفريق بين الطبيعة وبين علم الكلام والعلوم الأخرى بل إن الطبيعة في الإسلام مسخرة للإنسان والكون كله ما فيه ومن فيه صديق له، والقرآن الكريم يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] ويقول: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٦١].

ويلاحظ أن رسالة المسجد والمدرسة في الإسلام كانت واحدة وهي نشر وحدانية الله تعالى ووحدة الطبيعة، وكانت جامعة القرويين بفاس والزيتون

بتونس والأزهر بمصر وجامعات سمرقند وقرطبة محطات لطلبة العلم من جميع أنحاء العالم، بل سطع ذلك على أوربا حيث تأسست كليات الطب في سالونيا بإيطاليا ومومباليه بفرنسا على غرار كليات الطب الإسلامية .

ومن مميزات العلم في العقيدة الإسلامية أنه ينمو بشكل تصاعدي والعلم والتقنية مستمران لأهداف عليا وهي تحقيق عمارة الأرض طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

العلم والتقنية :

لاحظ جارودي أن العلم والتقنية اللذين برع فيهما الغرب هما نتاج للمنهج العربي الإسلامي وليس للجدلية الافتراضية التي كان ينتهجها اليونانيون، ولا ينبغي أن نرفض العلم والتقنية فهما في حد ذاتهما قوة صارمة، وإنما يعوزها التعرف على الغاية وتلك هي الإضافة التي يمكن أن يأتي بها الإسلام للعلم والتقنية الغربية وهي أن تكون في خدمة الإنسان بدلا من أن يكونا معول هدم وأداة فناء للبشرية .

وعظمة الإسلام تظهر في أنه دين حي ومتطور، فالله تعالى لا يكف في القرآن عن دعوة الإنسان إلى الاجتهاد من أجل حل المشاكل .

والسبب الرئيسي لتخلف العالم الإسلامي هو سيره على نمط النمو الغربي فقد تمت عملية نهب منظمة للموارد البشرية للعالم الثالث ولم يكتف الاستعمار القديم بذلك بل إنه قام بتحطيم الصناعات التي كانت في هذه الدول .

والغرب هو المسئول عن هجرة العمالة من الجنوب إلى الشمال التي أصبحوا يشكون منها مر الشكوى، وإذا طبقنا منهج اليهود فلماذا لا نطالب السويد وانجلترا ومقاطعة لورماندي بفرنسا وصقلية هذه البلاد لأن ملوك السويد حكموا هذه المناطق فترة أطول بكثير من عمر دولة إسرائيل الأولى، ولماذا لا تطالب إيطاليا بفرنسا التي حكمها يوليوس قيصر وقام بحكمها خلفاؤه فترة أطول من عمر دولة إسرائيل القديمة، وهنود أمريكا سيطالبون الأمريكيين الحاليين بمغادرة الولايات المتحدة هذا مع الفارق لأن اليهود لم يكونوا وحدهم على أرض فلسطين

كلها بل إنهم كانوا يعيشون وسط قبائل وشعوب أخرى في المنطقة وتطبيق هذا المنطق لا يمكن أن يشمل العالم كله ويؤدي به إلى خراب ودمار .

إن الغرب في حاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى رسالة الإسلام ذلك لأن الغرب في فترة محاولة إعطاء معنى للحياة وللتاريخ فلا فرق بين العلم والحكمة ولا بين الوسيلة والغاية وإن المحرك الأساسي لتطوير العلوم والتقنيات في الحضارة الغربية يتمثل في حب الأفراد والجماعات والأمم للقوة والمصلحة المباشرة، فالعلوم والتقنيات تهدف في الغرب إلى سد حاجات هي قاسم مشترك بين الإنسان والحيوان وتتمثل في الغذاء والكساء واللباس والدفاع عن النفس أو الهجوم على الغير .

أما العلم في الإسلام فإن محركه الأساسي يتمثل في البحث عن علامات وجود الله في الطبيعة وفي التاريخ للإصغاء إلى ندائه ولتجسيم إرادته ولتنظيم العالم كله حسب هذا الاتجاه ولا يكون الإنسان متسابقا مع غيره باستخدام العلوم والتقنيات وسيلة للسيطرة عليه بل يكون الإنسان خليفة الله في الأرض لجعل العلم ملائما للغاية الإلهية .

والإسلام لا يفرق بين العقيدة والعلم والتقنية بل يوحد بينهم في وحدة متماسكة كما أنه لا يفرق بين البحث عن القوانين والأسباب والبحث عن المعاني والغايات، ولابد من القوة التي توفرها لها التقنية للسيطرة على الأشياء واستعمالها وسيلة لعبادة الخالق وعمارة الأرض كما أن الإسلام لا يفرق بين الإيمان والسياسة والاقتصاد بل على العكس من ذلك فهو يوحدها في بنية واحدة وذلك أساسا لإرجاع كل شيء لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد إن الله مالك الأرض والسماء ولا سلطان لأحد سواه فالمفهوم القرآني للدولة والقانون قد ذهب إلى عكس ما ذهب إليه القانون الروماني فالملكية فيه ملكية رأسمالية بمقتضى حق الاستعمار والاستغلال كما هو الشأن في القانون الروماني، لكن المالك الأوحد في الإسلام هو الله خالق الكون ما فيه ومن فيه والتصرف في الأشياء الدنيوية ليس سوى وظيفة اجتماعية واستعمال المالك يكون دائما موجها إلى غايات تتجاوز

الفرد في حياته ومصلحته الخاصة. وهذا هو الفرق بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، فالسلطان في الإسلام لله وحده، وهذا ما يجعلنا نستبعد الملوكية التي ترى أنها تستمد ظلها من إرادة الله تعالى كما هو الشأن بالنسبة لملوك أوربا في العصور الوسطى ممثلا في حزب يؤلف أو نحو ذلك كما يستبعد في نفس الوقت النظام الديموقراطي الذي يستند إلى أن يكون لجماعة ما تنتخب فردا، فعبارة "الله أكبر" التي يطلقها المسلم يطلقها للتعبير عن عقيدته التي تجعل من كل مسلم ومن كل ملك ومن كل عالم أمرا نسبيا فهذا النداء ما هو إلا تعبير عن الحرية الحقيقية لأن فيها تأكيدا لقدرة المسلم على الخروج عن طبيعته وعن مفاهيمه وغرائزه وعاداته وتعطيه القدرة على تجاوزها وها نحن أولاء نعيش في بعد آخر من أبعاد الحرية ونوع أخر من أنواع الدول التي ترى ألوانا أخرى من الحرية ونوع أخر من أنواع الدول التي ترى ألوانا أخرى من معنى الحرية وهذه هي الطريقة البديلة في تصور الحرية وممارستها وهي الرؤية المباشرة لرؤية أخرى للإنسان الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له.

إسلام جارودي :

لقد أحدث إسلام جارودي ضجة كبرى في العالم كله لقد بدأ حياته مسيحيا يؤمن بالمذهب البروستانتي ثم اتجه إلى اللبرالية ثم إلى الماركسية التي استمر في الإيمان بها حتى دخل في الإسلام وقد مضت فترة من الزمن كان عضوا بارزا في الحزب الشيوعي الفرنسي وقد كانت أطروحته للدكتوراه حول النظرية المادية في المعرفة ولم يحد فيها عن الفلسفة الماركسية وقد أعلن إسلامه في الحادي والعشرين من رمضان سنة ١٤٠٢هـ وبدأ يمارس شعائره الدينية بعد أن أعلن إسلامه وتسمى برجاء جارودي بعد أن كان اسمه روجيه جارودي ولا زال إسلامه يثير تساؤلات ومناقشات في الأوساط الأوربية وله كتاب عنوانه (ماركسية القرن العشرين) وقد قال في مقدمة هذا الكتاب أنه لا يمجد الماركسية وإنما يفتح الطريق أمام انطلاقة جديدة لماركسية حية تلبي حاجات التطور الفكري في القرن العشرين .

وفي هذا الكتاب يعبر بوضوح عن موقفه النقدي للماركسية، ويقول عن الاقتصاد وهو المحرك الأول للنشاط الإنساني في الماركسية :(إن الاقتصاد لا يعدو أن يكون وجها من وجوه صلات البشرية على الطبيعة باعتبار أن الفلسفة والدين والعلم والفنون كل ذلك من الوجوه التي تلعب دورا حاسما في تحريك النشاط البشري والخلاف الفكري الذي وصفه جارودي بأنه ليس تحطيما للماركسية ولا مراجعة لها، لم يلبث أن تطور إلى حقوق سياسية وحرب سافرة ظل أوارها يشتعل في مطلع الستينات مما كان له أثر كبير في المجتمع الماركسي جعلهم يطردونه من المكتب السياسي للحزب غير أنه ظل يعتقد أنه أكثر الناس فهما للماركسية وأقدرهم على التعبير عنها .

حيرة جارودي: تظهر واضحة في كتابه (ماركسية القرن العشرين) وذلك في قوله: (إننا انطلقنا نفتش عن ملاذ ليقيننا من جديد ولكن كان ذلك وراء الأحلام وقد نقلنا هذا لا متشككين ولا صحوا من غفوة بل نقلناه لنبين أننا لن نؤمن بشيء بعد الآن إلا وعيوننا متفتحة فضربة المطرقة - كما قال يوشكين - تحطم الزجاج ولكنها تصنع الحديد .

والمؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي كان امتحانا لم يحطم آمالنا وإيماننا فحسب بل على العكس جعل في وسع الفلسفة الماركسية أن تزدهر مرة ثالثة .

جارودي في شبابه :

يقول : (كنت في شبابي مسيحيا مؤمنا بالاختيار لا بالوراثة وكنت رئيساً للطلبة المسيحيين البروتستانتيين لقد آمنت بالدين على عمل وفعل وتحرك والتزام ثم تحت تأثير قراءاتي تحولت فكريا إلى الماركسية وكان تحولا فكريا أما الشعور العملي فقد بقيت مؤمنا، وكان همي في الحزب الربط بين الإيمان المسيحي والفكرة الماركسية على أساس أن الماركسيين ينصفون في الأرض ليجد المسيحيون بداية السماء ولكني وجدت بالتجربة أن الواقع في الحزب الشيوعي شيء آخر مختلف

عن تصوري هذا فانفصلت عنه وقد لازمني الإيمان في أشد مراحل التحاقي بالماركسية) .

الوقف الحضاري والاضطراب :

يقول جارودي عصرنا الحاضر اضطربت فيه الموازين اضطرابا كبيرا ولم تعد معالم الحق والباطل تتضح فيه ولم يمكن التمييز بينها ، وهذا الاضطراب نشأ عن طبيعة الموقف الحضاري في هذه الفترة من التاريخ لأنها فترة جاءت متوسطة بين القرن التاسع عشر الذي استقرت فيه الأوضاع على نحو ما من جهة وبين القرن الحادي والعشرين الذي ينتظر أن تستقر فيه الأوضاع مرة أخرى على ركائز جديدة ، أما هذه الفترة التي نحياها خلال القرن العشرين فهي - بحكم الضرورة - فترة انتقال بين مجموعة من القيم الحضارية وبين مجموعة أخرى من القيم ينتظر لها الظهور فلا غرابة في أن ننمي الفواصل الفارقة بين الصواب وبين الخطأ ، وفي ظل هذه المرحلة يحدث أمراً بالنسبة للعقيدة الدينية أيا كان نوعها فقد يحدث من أن تتعرض تلك العقيدة - كما يتعرض سواها - للشك والتمرد ولكن في الوقت نفسه قد يشعر الإنسان المتمرد أنه لا مناص له من عقيدة يؤمن بها ويتخذها مرفأ ترسو عليه سفينته في أمان ، وهو في هذه المرحلة يتمرد على المذهب الشيوعي الذي كان مناصرا له ، ثم يبين الوجه الآخر وهو الإيمان الذي يعطي الأمل في المستقبل .

خطيئة الحضارة الغربية :

ويرى جارودي أن الخطيئة الكبرى في الحضارة الغربية أنها اعتمدت صيغة النمو المادي التراكمي نحو الإنتاج ونحو الاستهلاك معيارا أوحد للتقدم والسعادة والعمل والإنسان ولكن ماذا بعد المزيد والمزيد والمزيد من إنتاج السيارات وأجهزة الكمبيوتر وما إلى ذلك ، وماذا بعد المزيد من البنوك والأرباح المالية وماذا بعد المزيد والمزيد من الطرق والمصانع وإلى أين سنصل بعد ذلك ؟ ويتساءل بصوت مرتفع " أين النمو في القيم والأخلاق والمعاملات والسعادة الحقيقية ؟ " .

ترى ما نتيجة ذلك :

إن النتيجة الوحيدة لنظرية النمو التراكمية الحالية تظهر في أن العالم أصبح يملك وسائل تدميره مرات كثيرة، وذلك دون مقابل في الضوابط والروادع الأخلاقية والروحية التي من شأنها كبح جماح قوى الدمار وجاءت الماركسية لترتكب نفس الخطأ ولكن بأسلوب آخر .

لقد اعتمدت الماركسية نظرية النمو المادي واعتبرت الرأسمالية ذاتها ذلك مقياسا للتقدم ومعيارا للسعادة الإنسانية بل واتخذت وصف النمو الرأسمالي قانونا دائما بالنسبة لنمو الاشتراكية ذاتها فوقع النظامان في سياق واحد وأصبحنا نرى سباق الإنتاج المادي المتزايد إلى ما لا نهاية وبغير غاية وهدف، والفارق الوحيد في الأسلوب بين نظام يعتمد المبادرة الفردية ونظام آخر يعتمد على الدكتاتورية الجماعية ولكن التاريخ لا يعود إلى الوراء ولا يكرر نفسه، ولا بد من نظام أخر للنمو فمن المؤكد في نظري أنه لا اشتراكية حقيقية لنظرية النمو المادي الحالية فلا اشتراكية بدون تسام وتعال روحي فوق المادة وفوق النمو الاقتصادي وتحقيق ذلك مستحيل في النظام الرأسمالي وفي النظام الماركسي لأنهما واقعان في نفس الخطأ وهو محاولة إقامة حضارة بدون إيمان وبدون تسام.

نحو رؤية حضارية حديثة للإسلام :

يرى جارودي أن الإسلام يمكن أن يسيطر على الأزمة الحضارية، نعم لقد درس جارودي الإسلام وتعمق فيه وكانت له رؤية واضحة والمنطلق الذي يرى منه الإسلام هو القرآن والسنة لا كلام المستشرقين ومن على شاكلتهم وبذلك تكون الرؤية واضحة وصادقة، يقول جارودي : (ينبغي أن تكون رؤيتنا للإسلام عبر القرآن والسنة النبوية فالإسلام ينبذ الازدواجية المزيفة في شؤون العقيدة والسياسة والمسجد والدولة، ولا شك في أن الإسلام في مقدرته السيطرة على الأزمة الحضارية والانحلال في المجتمع الغربي بفضل تشبثه بوحدانية الخالق وبوحدة العقيدة والعمل فهو حامل لواء الجهاد ضد الاستلاب الاستعماري وقد نجح في بث روح الجهاد في نفوس الجزائريين بالأمس ويدفع اليوم المجاهدين من

الأفغان إلى التضحية بكل شيء) .

وماذا عن الإنسان الغربي؟

يتحدث جارودي عن أخطاء الإنسان الغربي في عقيدته وسلوكه فيقول : (الإنسان الغربي أفرط في علاقته مع الطبيعة والمجتمع والإله فاعتقد أنه يد الطبيعة ومالكها ويعتبرها مجرد مستودع للمواد الخام يتلاعب به حسب هواه) .

وجارودي يؤكد بهذا أن النصرانية لم تساعد الإنسانية على الحفاظ عن البعد العالمي الذي دعا إليه الإسلام وبخاصة بعد ما انضمت النصرانية - في القرن الرابع - إلى الفنون اليونانية .

ويقول : لقد ظل الإنسان في المجتمع الغربي منذ النهضة الأوربية منعزلا عن إخوانه من البشر ، حتى إعلان حقوق المواطن الذي ينص على أنه تقف حريتي حيث تبدأ حرية غيري ، وهذا لم يقنع أحدا إذ يعني أن حرية الآخرين ليست شرطا لحريتي أنا وإنما هي حد لها ، لهذا تأرجحت مجتمعات الغرب وكذلك تلك الدول التي تقتفي أثرها في دول العالم الثالث من فردية متوحشة إلى طغيان واضح .

الاقتصاد في الإسلام :

ويتحدث جارودي عن الاقتصاد في الإسلام فيقول : (يتناقض مفهوم الاقتصاد في الإسلام عن المفهوم السائد في الغرب فالاقتصاد في الإسلام يراعي التوازن بين الإنتاج والاستهلاك والهدف من ذلك) ويقول : (لم يكن الاقتصاد في الإسلام محايدا تاركا الحبل على الغارب حيال القوى الحية ، فالسوق التي هي إحدى دعائم الاقتصاد توجد من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية وتتجاوب مع قواعد وأسس الإسلام ويستشف من خلال ذلك التوازن في توزيع الدخل والحيلولة دون الاحتكار فهو من هذه الناحية يراقب مراقبة صادقة ويقوم بهذه الوظيفة المحتسب المكلف بتنظيمها والسهر على الأسعار وبعبارة موجزة ليست السوق غاية وإنما هي إحدى الوسائط ، يقول الله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور : ٣٧] .

الزكاة :

يقول جارودي عن الزكاة : (تعكس الزكاة التي لا تعتبر مجرد صدقة تعطي كيفما اتفق؛ إنما هي اقتطاع من رأس المال وصورة من صور التأمين الاجتماعي الذي لم تعرفه أوربا إلا في القرن العشرين وبعد صراع مرير في حين أن هذا التنظيم مطبق في الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا كإحدى قواعد العقيدة نفسها ، وبعبارة أخرى يرتكز الاقتصاد في الإسلام على أسس تغاير أسس نظام الاقتصاد في الغرب وفي الشرق على السواء فهو نسيج وحده) .

الحقوق :

يتحدث جارودي عن الحقوق في الإسلام مقارنا بها الحقوق في الغرب فيقول :

إن الإسلام يعتبر الإنسان جزءا من كل إلا أن مفهوم هذه الكلية يغاير ما يعني به لدى الغربيين فهو يقابل الفردية عندهم ولا تمت الشمولية الإسلامية بأية صلة للاستبداد والفاشية التي تعتبر أن الإنسان لا قيمة له ولا حقيقة له إلا من خلال الدولة . فالعلاقة بين الإنسان وهذا الكل في الإسلام ليست علاقة بيولوجية ولا وظيفة اجتماعية ومثل تلك العلاقات لا توجد إلا في مجتمع لا غاية له سوى ذاته وبالعكس يهدف المجتمع الإسلامي إلى أهداف تتجاوز ذاته وتنبني على أساس المساواة والحرية .

جارودي يدق ناقوس الخطر :

في كتابه مبشرات الإسلام يقول : (لقد خلقت الحروب الصليبية صورة مبغضة للدين الإسلامي في الغرب كما سعى رجال الدين النصارى والمستشرقون للتشهير به . ولم يكن الاستشراق حركة نزيهة منذ البداية إذ أن الهدف منه كان تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية وأسهم كذلك في بناء أسس لمشروع الأحكام التعسفية التي جعلها الغرب ذريعة لاستغلال الشعوب الأخرى لذلك لم تتم دراسة الإسلام في أوربا من أجل الوقوف على حقيقته بل اهتم به المستشرقون لأغراض الصراعات الأيدلوجية) .

ويرى جارودي أن غزو نابليون لمصر فتح صفحة جديدة في العالم الإسلامي وكان من أهم نتائجه ظهور تيار العصرية الذي كان يدعوا أنصاره إلى محاكاة الغرب ويستعد لاستيراد أمراضه وكان على رأسها الوطنية بعد أن اصطنعت أوربا المستعمرة الحدود المزيفة المفتعلة. وفي المجال السياسي انتشرت العصرية التي تعني قيام نظام برلماني وهو نظام قد لا يكون صالحا في العالم الإسلامي بالضرورة، وفي المجال الاقتصادي تعني العصرية اندماج الدول الإسلامية في السوق الغربية دون إعطائها أدنى فرصة لمنافسة الغرب بل تبقى هي إلى الأبد زبونة وعالة عليه .

وفي دنيا الثقافة تهدف العصرية إلى تبني فلسفة الغرب الهادفة إلى القبض على الطبيعة والإنسان ولا تعني العصرية سوى تثبيت نمط في الحياة تقتبس منه شعوب أخرى خيرا كان أم شرا وذلك استجابة لحاجات الأجانب، وقد أدى هذا التيار بالمسلم إلى أن أصبح غريبا عن نفسه وعن أهله وعن تاريخه وعن ثقافته .

وفي ختام كتابه يقول : (يتعلق الأمر بمصيرنا مصير الجميع فهذا الكتاب تقريب جديد للإسلام ومن ورائه كل ما يمكن تسميته بالعالم الثالث حيث مصير المعمورة مرهون بالإسلام) .

لقد حاولنا دراسة هذه الديانة باعتبارها قوة حية لا لتقديرات ماضية، ولكن من أجل ما يحمله العالم من ابتكارات المستقبل .

<u>الحوار بين الحضارات :</u>

يقول جارودي : (إن الغرب اتجه أخيرا إلى الحوار بين المسيحية والإسلام ويسأل هل ينجح هذا الحوار ؟) يقول : (إن هذا الحوار محكوم عليه بالفشل إلا إذا غير الغرب أسلوبه وهو يوجه الكلام إلى بني جنسه) فيقول في هذا الصدد : (إن الحوار محكوم عليه أن يسلك طريقا مسدودا إذا ظلت عقيدة أحد أطرافه غير مصقولة من صدأ قرون السيطرة والاضطهاد، وإن ما يسمى بالنمو لم يكن قط إلا نماء للتأخر فإنه لا يأتي نمو عدد قليل من الدول دون أن يتم ذلك على حساب دول أخرى - وقد

تم نهب المصادر الطبيعية والبشرية لثلاثة أرباع العالم - وإن أكبر افتراء يجب تنفيه وفضحه هو الزعم القائل " أنه لا بد من اقتفاء أثر الغرب إذا ما أراد العالم الثالث تحقيق تقدم اقتصادي " ومن المسلم به أن تطور أوربا الغربية ولد التخلف وضاعف من اتساع رقعة الدول النامية لهذا يكمن الحل في انتهاج أسلوب التنمية الذي يعمل على تثبيت قواعد نظام اقتصادي عالمي) .

دول البترول :

ويذكر جارودي الدول المنتجة للبترول ويدعوها إلى التخلص من كونها مجرد ممولة للمواد الأولية وزبونة للمؤسسات الاقتصادية الأوربية لتصبح منشئة لسوق مشترك بين الدول الإسلامية ودول العالم الثالث، وبهذه الوسيلة يعود الإسلام مصدرا هاما يقتبس منه العالم بأسره ما يحتاج إليه في مجالات الاقتصاد والثقافة والعلم، ولدى المسلم الاستعداد الطبيعي لتحمل هذه المسئولية إذ أن معارضة النصراني للإسلام لا تقابل بالمثل في الديانة الإسلامية، حيث يتحدث القرآن باحترام بالغ عن المسيح وأمه فيقول: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة :٤٦] .

وهذا التسامح لا يعني أن المسلم يقبل بفكرة الصلب والتثليث فوحدانية الله تعالى هي محور الإسلام وهو مبدأ يحول دون عبادة الطواغيت المنتشرة في المجتمعات الأوربية ويتلخص في (طاغوت النمو والتقدم- طاغوت العلمانية- قانون الفردية- قانون الوطنية) والإسلام يقول لا إله إلا الله .

ويتمنى الكاتب أن يرى الأمم الكبرى في الغرب تنشئ في الأمكنة نفسها التي تم فيها سابقا لقاء الحضارات في قرطبة وباريس مراكز للبحث والتوزيع لما يحمله الإسلام إلينا اليوم وما يقوله لنا وما نقوله له نحن الغربيين لتحقيق هذه المناقشة ولا مندوحة من تغيير طريقة العلاقة بين الإسلام والغرب، لقد كانت العلاقة بينهما منذ النهضة الأوربية علاقة حرب واحتلال ومالك ومملوك وسيد ومسود في

حين تخالف تعاليم الإسلام هذه المبادئ الخاطئة، فهي تعاليم من شأنها أن تساعد على اكتشاف بعد عالمي للإنسان الذي يحمل ذاته مسئولية على مستوى الوجود في العالم، والقرآن الكريم يقول: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومع ذلك يسجن المسلمون أنفسهم في ماضيهم ولكنهم عرفوا كيف يحلون مشاكل العصر الحاضر في إطار المجتمع الذي أسسه محمد ﷺ وأدركوا أن استمرار الوفاء لذلك الماضي يكمن في نقل فقه تراث الأسلاف لا على شكل رماد ولكن على شكل لهيب عندئذ يأتي الانفتاح لا للمسلمين فقط ولكن للعالم كله.

الإسلام وأزمة الغرب:

عنوان محاضرة ألقاها جارودي في جامعة قطر عام ١٩٨٤م قال فيها: (لن أتحدث هنا عن الإسلام بعامة ولكن سأتحدث عن الإمكانات الجديدة لتوسعه وانتشاره في العالم الغربي وعن الأسباب المتصلة بروح العقيدة الإسلامية نفسها والتي أوجدت مثل تلك الإمكانات.

لقد أنقذ الإسلام عند مولده العالم من الانحطاط الشامل وأن الإمبراطوريات التي كانت تسود العالم قد تفككت وانحلت ومنها الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية والهندية وممالك أفريقيا الشمالية وممالك أسبانيا.

ثم جاء الإسلام معلنا بكل قوة علو الخالق وتساميه وهذا الأساس أنقذ الملايين من البشر وأكسبهم حياة اجتماعية جديدة أليس هذا الإسهام يمكن للإسلام اليوم أن يقدمه في سبيل إخراج مستقبل يتسم بالإنسانية في عالم أدى به القضاء على التسامي وتحطيم انفراديته للجماعة وإقرار نمط إنمائي مفيد إلى جعل الوضع الراهن لا يمكن العيش في ظله واستحال معه قيام المجتمع الذي لا يمكن العيش في ظله بعد خمسة قرون من صحبة الغرب ويمكن أن نلخص الوضع في أرقام ثلاثة بفضل تخصيص ٦٠٠ مليار دولار عام ١٩٨٢م للإنفاق على التسليح وأصبح

كل ساكن من سكان الأرض تحت تهديد ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات وسارت الموارد والثروات في نفس السنة موزعة بشكل أدى إلى هلاك مليون نسمة في العالم الثالث بسبب المجاعة وسوء التغذية .

ومن الصعب أن نسمي ذلك تقدما ونلاحظ أن ذلك المسار التاريخي الذي سلكته الحضارة الغربية والذي نراه لأول مرة في تاريخ الملحمة الإنسانية . وإني لا أتصور إدارة أسوأ وأكثر تدميرا للكرة الأرضية من الحضارة الغربية .

وهكذا نرى المجتمعات الغربية قائمة على تضارب المصالح المتنافسة للأفراد وللجماعات وللأحزاب والأمم ، وسوف نصل إلى فلسفة اليأس التي تثبت لشبابنا أن الحياة لا معنى لها .

إن فلسفات الغرب هي فلسفات العدم واليأس إنه إفلاس ثقافي وهذا ما يقوله ثلاثة من علماء الغرب نالوا جائزة نوبل وهم (جاك مونو ، والبير كامو ، وجان بول سارتر) .

الإسلام دين الشمول :

التقت السيدة كريمان حمزة بجارودي ودار بينهما حوار نشر في مجلة منار الإسلام عدد رجب ١٤٠٦هـ وجاء فيه قوله : (إن الإسلام دين شامل منذ أدم حتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، والإسلام يحتوي ويشتمل على جميع الأديان بما فيها اليهودية والنصرانية ولكن يجب التفريق بين اليهودية دينا سماويا اعترف به القرآن . وقدر نبيه موسى عليه السلام وبين اليهودية الصهيونية العالمية ككيان تسلطي قام على الباطل. وشتان بين الإسلام الدين الذي يدعو إلى التسامح والإخاء والمساواة بين البشر لا فرق بين إنسان وآخر إلا بالتقوى وبين الاتجاه المنغلق النفعي الذي آل أخيرا إلى الدعوة إلى السلام ولكنه سلام الماكرين سلام المتربصين سلام المتآمرين سلام غاش خادع لا أمان له .

افتعال الثقوب :

إن حقائق الأشياء موجودة والإنسان يكتشفها ويتعرف عليها ولا يبدعها

أو يخلقها ، فما جاء به أينشتين طرح بطريقة أخرى عند البوذيين . فالقول بأن هناك تناقضا بين العلم وبين الدين غير مطروح نهائيا في الإسلام ، ولكن بعض المتربصين بالإسلام يقولون : (إن القرآن فيه تناقض) وهذه مغالطة فهم يذكرون بعض الآيات التي تشير إلى بدء الخلق -أعني خلق الكون- فمرة يقولون : (إن القرآن قال : " إن الأرض خلقت في ستة أيام") ومرة يقولون : (إن القرآن يقول عن الله : "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون") وغاب عنهم أن الرسالة الخالدة متعددة في خطابها حسب تعدد البشر فهي تخاطب كلا حسب متطلبات الأحداث فهناك من يحاول افتعال ثقوب في الرسالة الخالدة ويحمل الأمور أكثر مما تحتمل ولكن الشيء الأساسي الذي ينبغي أن يدركه كل مؤمن بقدرته وليس من المهم في شيء أن يكون خلقه في يوم أو في يومين أو في ستة أيام لأن اليوم في ميزان الله يختلف عنه في ميزان البشر ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] فواجبنا أن نستفيد من الحقائق الكبرى وأن نبتعد عن الجدل في أمور تافهة لا فائدة فيها .

<u>علم اليوم :</u>

يقول جارودي والخلاصة أنه متى وجدت علاقة بين العلم والدين كما أمر القرآن في قوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] ، كان العلم للنفع الخاص والعام أما العلم حاليا فيعني العلم البعيد عن الدين فقد قدم لنا قنابل ناجازاكي وهوريشيما بل إنه سعى بجدية ليقدم لنا ما يكفي للقضاء على ٦٥ ملياراً من البشر .

وقضية العلاقة بين العلم والدين ليست جديدة فقط طرحها من قبل الغزالي وابن رشد ، ولكن إنسان العصر الحديث في حاجة ماسة للحب الإلهي والتسامي بالمشاعر وفي حاجة للعيش في سلام وأمان نفسي حقيقي .

ومع الأسف الشديد فإن الإنسان العصري دخل في مسلسل رهيب ألا وهو التسابق على الإنتاج والاستهلاك والتطلع نحو الكماليات الزائفة، وكل هذا في النهاية يعطينا صورة مضحكة مبكية لإنسان العصر القزم الذي يحمل حجما من قوة وهمية، بل لقد سيطرت عليه كلمة كيف نصنع؟ وكيف نستهلك؟ وكيف نسوق؟ وكيف نستزيد من الكماليات؟ وكيف وكيف بينما كان من الواجب أن نقول: لماذا ننتج؟ ولماذا نستهلك؟ ولماذا نكدس؟ .

وهكذا وقعت الحضارة الغربية منذ بداية عصر النهضة في هذا الالتباس واستبدلت قيم التسامي المرتبطة بالخالق بقيم الاستهلاك المرتبطة بحب الظهور والعلو، لذلك أرى أنه من الأولى للحضارة الغربية منذ عصر النهضة أن تحدد الغايات بدلا من أن تنمي الوسائل دون أن يكون لها هدف واضح لأنها افتقدت الحكمة والمثل الخالدة .

عيسى نبي الإسلام :

وقد كانت أول محاضرة لجارودي في فرنسا عقب دخوله في الإسلام محاضرة بعنوان "عيسى نبي الإسلام" ذلك لأن أول ما بهره في الإسلام اعترافه بجميع الأنبياء والرسل والكتب دون تفريق فهو دين شامل يحتوي الماضي والحاضر والمستقبل لخدمة الإنسانية دون تحزب أو تحيز أو اغماط للجهود السابقة .

وعندما نطرح قضية النبوة فالمطلوب أن نطرحها في تسلسل الأنبياء عليهم السلام منذ أدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم مارين بموسى وعيسى وبقية الأنبياء فقد كانت رسالتهم الدعوة إلى الله الواحد الأحد القادر المقتدر الرحيم الرزاق المحي المميت وكان هدفهم إنقاذ البشر من شرور النفس والهوى وإبليس .

إن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وإن مريم لم ترتكب خطيئة أبدا وأن القرآن قد برأ ساحتها منذ خمسة عشر قرنا من الزمان بل لقد خصها بصورة

تحمل اسمها وهي سورة مريم وسورة لأهلها وهي سورة آل عمران. أما معنى أن عيسى روح الله أي المشمول بعنايته سبحانه وتعالى ورعايته، وكل إنسان نفخ الله في روحه، تقول الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]. إذا فليس معنى أن عيسى روح الله وكلمته أن نأخذها بمعنى الخصوصيات أي البنوة البشرية، والحقيقة التي يجب أن نقرها ونعترف بها لإنقاذ البشرية من الضلال هي أن عملية ترجمة الإنجيل بعد سبعة قرون إلى اللغة الإغريقية قد تسببت في عملية تعويم فليست هذه هي لغة الإنجيل الأصلية ولكنها ترجمته وبالتالي عندما نقول عيسى نبي الإسلام فنحن لم نأت بجديد لأن عيسى عليه السلام وغيره من الرسل جاءوا ليكملوا هذا الدين الشامل الذي تتابع فيه الرسل ألا وهو الإسلام وأن هذا كله يؤكد لنا استمرارية الرسالة الخالدة.

القانون الوضعي والقانون الإلهي:

يقول جارودي: (لا زال موضوع القانون الوضعي والقانون الإلهي مثارا للجدل حتى اليوم، وترى الشعوب الإسلامية أن قانون الله هو المطبق في جميع الأحوال، والقانون الوضعي أساسا هو قانون يرتكز على التعصب بطريقة ما أمام مشكلة ما في ظرف معين لجماعة معينة أو مصالح لفئات معينة وفي فترة معينة، بينما القانون الإلهي له طابع الاستمرارية وهو يحقق جميع مصالح الفئات كلها بشكل مؤكد لا بظنون وما يستجد من تحولات في تاريخ البشرية يؤكد صلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، وهذه المرونة الهائلة للقانون الإلهي سمحت الأئمة أن يجتهدوا في الأمور القابلة للاجتهاد عندما جدت ظروف لبعض البشر ليسوا هم بشر المدينة المنورة وإنما ينتمون إلى بيئات أخرى تتطلب اجتهادا لكي يتواءموا مع القانون الإلهي.

فالقانون الذي هو من وضع الإنسان ليست له سرعة التجاوز للفترات التاريخية، بينما القانون الإلهي له هذه الصلاحية الدائمة لكل الأزمنة والأمكنة ويمكن الاجتهاد على ضوء مبادئها دون خروج عن المبادئ ودون التنكر للأصول.

روعة القانون الإلهي :

إن روعة القانون الإلهي تظهر في أنه قانون يطبق تحت خشية الله ورقابته فهو حاضر في الحياة العامة كما هو حاضر في الحياة الخاصة، ومن هنا تميز القانون الإلهي بحيويته الدائمة. ففي القانون الوضعي يمكن لتاجر أو سياسي أن يخادع شريطة أن يحتفظ بظهرية القانون واحترام إجرائيته، ولكن في القانون الإلهي لا يتهيأ له أن يخادع لأنه يحس بأنه تحت رقابة الله تعالى، وهو القانون الذي إذا ما التزم به المؤمن فإنه يطبقه قلبا وقالبا .

مثال ذلك: أنه يمكن أن يخدع التاجر الزبائن وهو يعتقد أنه يتاجر، في حين أنه في القانون الإلهي يصبح مطففا، والله تعالى يقول: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين ١ :٣]، وفي القانون الوضعي يمكن للزوج أن يخادع زوجته وهي أيضا تخادعه شريطة أن يحتفظ بالمظهر، بينما في القانون الإلهي غير موجود لأنه يعتبر مخادعا وتعتبر هي مخادعة أيضا، والله تعالى يقول: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر :١٩] .

القانون الإلهي والمغالطات :

يرى الغربيون أن الإسلام دين قسوة وعدم إنصاف ومن ذلك قطع يد السارق ورجم الزاني أو جلده، وفي نظام المواريث المرأة ترث نصف الرجل، وكل هذه الأمور قُدِّمَت لغير المسلمين أو ربما للمسلمين بطريقة لا تخلو من المغالطة، فمن المفروض أن الأمور ترى بموضوعية، فالمرأة على سبيل المثال التي ترث نصف الرجل قد أعطاها الإسلام المقابل، فالمرأة لها حق الصداق (المهر) والزوج هو المسئول عن الإنفاق على زوجته وعلى أولاده، وفي حالة الطلاق تأخذ الزوجة النفقة والمتعة ويصبح الأب أو الأخ أو العم مسئولا عنها .

وحد السارق - أي قطع يده - في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين كان هو النظام الإسلامي . كما كان هناك بيت المال الذي يضمن لليتيم وللأرملة وللعاجز وللمطلقة موردا ثابتا ، فلا خوف ولا فقدان ثقة ولا فقدان أمن ولا أمان ، وفي الإسلام الدولة تكفل لكل مواطن حق المأكل والملبس والمسكن والعمل والزواج . وبعد كل هذه الرعاية لا بد من قطع يد السارق .

وقد ورد في الموطأ وأبي داود حينما جاءوا بعبد سرق فاستدعوا سيده وسألوه : لماذا تركت عبدك بلا طعام ولا مسكن ولا زوجة ولا أمان؟ وإذا فأنت الذي تستحق العقاب لأنك أعنت الشيطان عليه ، ومما يذكر أيضا أن عمر بن الخطاب قد أوقف العمل بحد السرقة في عام الرمادة أي عام المجاعة .

المجتمعات الرأسمالية :

أما في عصرنا الحديث فإن السرقة أصبحت تمارس بإتقان وتحت أغطية ومن الصعب أن نحددها أعني ربما كسب الرأسمالي أربعة مليون دولار في مكالمة هاتفية وبأساليب غير مشروعة لهذا أرى أنه من الأولى أن يوضع القانون الإلهي في مضامينه الصريحة الواضحة ولا نبحث عن تأويلات هي في الواقع ليست من القانون الإلهي في شيء .

ومن مميزات الإسلام أنه لم يفرط في شيء وحتى أدق المعاملات المالية والتجارية والاقتصادية وضع لها أصولا وقواعد عامة في الإبهار والعظمة ، ولكنها تحتاج إلى علماء عاملين ينذرون أنفسهم لهذه القضية وأحب أن أسجل هنا إعجابي وإيماني العميق بفكرة الاقتصاد الإسلامي الذي اهتم بالملكية الفردية ومصلحة المجتمع في آن واحد ، ولو أطال الله في عمري فإني أرجو أن أشرف بدراسة الاقتصاد الإسلامي دراسة وافية ، وأقدم للعالم المتحضر نظرية الإسلام في الاقتصاد والمال .

ويجب أن نأخذ في الاعتبار ما حدث في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين من مرونة وتطويع لمصالح البشر ما يتمشى مع القانون الإلهي ، وهذا

بلا شك سيختصر لنا الطريق لأن القانون الإلهي هو الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لماذا غزا نابليون مصر؟

ويتساءل جارودي عن سبب غزو نابليون لمصر وما الذي يترتب على هذا الغزو؟ ويهتم بالنتائج فيقول : إن غزو نابليون لمصر فتح صفحة جديدة في العالم الإسلامي جعلته يسير على نظام الغرب ، ويرى أن حركة التقليد للغرب مسئولة عن التطرف في الدول الإسلامية .

حضارة القرن العشرين :

ويقول جارودي : (إن حضارة القرن العشرين هي كتابي الأخير بل هو وصيتي التي أوجهها لشباب الأمة الإسلامية بل لشباب الأمم كلها حيث أحكي فيه تاريخ فلسفة القرن العشرين وكيف أنها آلت إلى الإفلاس) .

الحياة لم تخلق عبثا :

يقول جارودي لقد ضربت أمثلة من واقع علاقاتي بكبار المفكرين والمنظرين الذين يعتز بهم العالم وتأخذ وزارة التربية والتعليم بآرائهم بل وتتبناها وتقدمها للشباب .

وسارتر كانت تربطني به بعض العلاقات والمراسلات ويمكنني أن أتجادل معه دائما ، ولقد قال في أحد مؤلفاته : (إن الحياة نشوة غير مجدية نشوة بلا فائدة) وقدم لنا العزلة والتشاؤم بديلين .

وجاك ميتو صاحب نظرية الصدفة والضرورة في البيولوجيا يعمم ذلك على القوانين التاريخية فيجعل وجود الإنسان مجرد صدفة وضرورة لا فائدة منها ، وهذا عكس اعتقادنا .

وكامي قال : (إن الحياة لا معنى لها) وهو صاحب نظرية العبث ومسرحياته المشهورة مسرحيات عابثة ماجنة .

ولقد حاولت أن أطرح هذا الإفلاس في عدة نماذج واقعية لأواجه هذا كله

بالإسلام وما يدعو إليه من حلول جذرية لهذا الإفلاس والعبث والضياع ولو أن النصارى طبقوا النصرانية الحقة ولو أن المسلمين طبقوا الشريعة الحقة لتغير كل شيء، فاليهودية والنصرانية الحاليتان لا تمثلان ما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام بسبب أنهما حرفتا. وقد كانت العقيدة اليهودية والنصرانية قبل التحريف متطابقين على ما جاء به الإسلام كما أنزل على محمد ﷺ.

أما أحكام العبادات والمعاملات فلم تكن متطابقة قبل التحريف ومن المهم أن تعلم أن الإنسان لو وجد الإنجيل الصحيح والتوراة الصحيحة لما اتبع أيا منهما بعد بعثة محمد ﷺ.

وقد آن الأوان أن نطرح هذه الموضوعات لنصوغ الحياة الإنسانية صياغة مثالية صياغة صادقة أخذ بيدها إلى الطريق الحق والنور والهداية، وقد اقترحت في كتابي أن يدرس القرآن في الغرب لا ككتاب سماوي لأنهم لا يعترفون بسماويته، ولكن ككتاب صادق يمكن أن يصنع شعوبا راقية قلبا وقالبا وربما آمنوا به من خلال دراستهم له.

وهدفنا في النهاية أن يتجه العالم إلى التوحيد في إطار الوحدة والتكامل للتخفيف من ضغوط الدول العظمى التي تقودنا الآن إلى الانحدار والانتحار، إن ملايين البشر تطرح الآن هذه الرغبة، والإسلام له من الخطوط ما لا يقل عن خطوطه في العصر الأول شريطة أن نحسن التصرف والتطبيق.

<u>العودة إلى الأصول:</u>

يقول جارودي إن الإسلام لم ينج من التشويهات والتحريفات فبعد تلك الحقبة الرائعة من الازدهار في قرونه الأولى وبعد أربعة قرون من ميلاده نرى أن تقليد القدماء قد بدأ يأخذ سبيله إليه بدلا من البحث عن الحلول في روح القرآن وفي جو القدوة التي أعطاها الرسول ﷺ في حل المشاكل والمسائل المستجدة.

عندما لاحظ الإمام أبو حنيفة نفسه أن الإسلام انتقل من المجتمع الصغير في

المدينة المنورة إلى الإمبراطورية العظمى وجد أن هناك مسائل ومشاكل طرحت نفسها من كل الأشكال والأنواع اقتصادية وسياسية وثقافية فحاول حلها بطريقة القياس مع الحلول التي أوجدها الرسول ﷺ للمشاكل والمسائل التي طرحت عليه، واليوم علينا أن نكون مخلصين للأحكام التي وفق إليها أبو حنيفة. وهذا لا يعني أن نردد حرفيا ما قاله أبو حنيفة فنحن لسنا في زمن الدولة الأموية، ولكن علينا أن نعمل لمجتمعاتنا ولعصرنا ما عمله هذا العالِم والفقيه الكبير لمجتمعه وعصره، ونرى أن مصيبة الإسلام في ما يمنعه من حل المسائل والمشاكل يَكمُن في الاستسلام إلى التقليد إما بتقليد القدماء وإما بتقليد الغرب .

والعودة إلى المنابع والأصول بالمعنى الذي أراده وفهمه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وابن باديس يعني أنه بعد أكثر من ألف سنة من شرح التفاسير يجب العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والحل القرآني يمكن أن يطبق في حياة كل إنسان وهذا هو النموذج الذي أعطاه الرسول ﷺ وهذا يمكن أن يفيدنا والباقي هو تأويلات الفقهاء والعلماء للإقتداء بأسلوبهم وطريقتهم وليس النقل الحرفي لتعاليمهم وأحكامهم وذلك يتم إذا كنا نرغب في الرد على تحديات العصر .

قواعد التجديد :

وقد وضع قواعد التجديد الشيخ رشيد رضا الذي قال: (إن الاجتهاد هو الذي يمثل المستقبل، وقد سماه ابن حنبل مبدأ حركة التعليم الإسلامي، ويجب الاجتهاد والتأويل انطلاقا من الجذور والأصول الكبرى، والإسلام يجب أن يتجدد انطلاقا من مبادئه ومعتقداته الخاصة كذلك يجب عدم الخلط بين الشريعة والفقه، فالشريعة هي القرآن من جهة وكيف يطبق القرآن على حياة الإنسان؟ والأمثلة يعطيها الرسول في السنة النبوية بينما الفقه هو مجموعة التأويلات التاريخية في حقب مختلفة قدمها هذا أو ذاك من الفقهاء والعلماء والتي توصلت إلى حلول رائعة في زمنها ولكنها لم تتفق مع مشاكلنا .

مسئولية الإنسان المسلم :

ترى هل يستطيع الإسلام أن يحل المشكلة الروحية في الغرب والمشكلة المادية في الشرق؟ والجواب نعم إنه يستطيع حل المشكلة ولكن لا يحلها إلا بالأشخاص الذين يحلون المشاكل ويبحثون عن الحلول المناسبة لهذه المشاكل ومن المؤكد أننا لا نستطيع قراءة القرآن بعيون أشخاص ماتوا منذ عشرة قرون، نعم القرآن خالد وأبدي ويستطيع في كل زمن من التاريخ أن يوضح لنا الطريق المستقيم وأن يرينا الهدف أما البحث عن الوسائل فهو من صلب عملنا نحن لأن الله تعالى جعل الإنسان خليفة في الأرض والتسليم لله يعني الاستجابة لدعوته الاستجابة العملية المسئولة الحرة وكل المخلوقات مسلمة وتخضع لقوانين الله ولكن الإنسان وحده له الحرية في إطاعتها ولذلك فقد طلب الله من الملائكة أن تسجد لأدم وهذا تكريم للإنسان، والإنسان له الحرية في تصرفاته وهو محاسب على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

ويأتي سؤال : لماذا اهتم جارودي بالإسلام؟

لقد اهتم جارودي بالإسلام من التجارب الخاصة به ومنها :

- موقف أخلاقي مع جندي جزائري مسلم رفض أن يقتله تنفيذا لأمر رئيسه الفرنسي وقد طلب منه أن يهرب، ولما سأله عن عدم تنفيذ الأمر بقتله، قال : (إن الإسلام يحرم قتل البريء وأنت لم ترتكب ذنبا) وكان هذا هو اللقاء الأول بالإسلام، وهذه التجربة المبكرة بالنسبة له قد علمته أكثر من دراسة نظرية أكثر من عشر سنوات في السربون .

- أما النقلة المباشرة إلى الإسلام فقد جاءت بعد اكتشافه حقيقة الموقف الذي تتبناه الكنيسة الكاثوليكية من القضية الفلسطينية ذلك الموقف الذي يعتمد الفكرة الصهيونية حول خرافة أرض الميعاد وهي الشعب المختار .

التحول إلى الإسلام :

يقول جارودي : (بالنسبة لي لا يعتبر الأمر تحولاً من الإلحاد إلى الإيمان فلم أكن

في يوم من الأيام ملحدا حتى عندما كنت عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٣٣م فقد كنت في الوقت نفسه رئيس الشباب المسيحيين البروتستانت وانتسبت للحزب الشيوعي وأنا مسيحي، ولكن في الحقيقة لم أكن مسيحيا بالميلاد لأن أبواي لم يكونا كذلك لقد كانا ملحدين لأنهما كانا من الأجيال التقليدية، وعندما أطلق سراحي بقيت في الجزائر عاما وخلاله التقيت برجل عظيم كان له أكبر الأثر في نفسي وهو الزعيم الإسلامي الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس رابطة العلماء المسلمين الجزائريين ويعتبر هذا الدرس من الشيخ الإبراهيمي بالنسبة لي المرة الثانية التي التقي بها فيها بالإسلام فقد تعرفت عنده على سيرة واحد من أعظم أبطال القرن التاسع عشر وهو الأمير عبد القادر الجزائري، فقد شرح لي جوانباً من سيرته وكانت له صورة معلقة على الحائط وكان بطلا محاربا وعابدا ناسكا. أما أخر وأطول اتصال لي بالإسلام فقد بدأ في عام ١٩٦٨م عندما ظهرت في اعتقادي أول بادرة تغيير عند الأوربيين بشكل عام وفي السياسة الفرنسية بشكل خاص وكنت في هذه الفترة أعمل أستاذا بالجامعة ولكني تعلمت من طلبتي وعمالي درسا كبيرا مفاده أن بعض الأنظمة قد تشكل خطورة كبيرة بنجاحه أكبر من الخطورة التي تنتج عن فشله ويتمثل هذا النظام في النمط الغربي في التقدم والنماء والذي يظهر في التسابق إلى التسلح الرهيب ومحاولة السيطرة على العالم).

لماذا طرد من الحزب الشيوعي:

يقول طردت من الحزب الشيوعي لأني عبرت عن اعتقادي أنه في ظل هذا النمط من التوسع النماء بناء إقامة بناء اشتراكي وأن الاتحاد السوفيتي ليس اشتراكيا بحال من الأحوال وكان طردي سنة ١٩٧٠م.

كتاب ملف الصهيونية:

يقول جارودي في هذا الكتاب: (الصهيونية تلاقي اليوم خيبة عميقة في العالم

الغربي لأنها قدمت ادعاءات أسطورية في قالب الحقيقة الواقعة المعتمدة في ذلك على التعاليم النصرانية القديمة :

أولا : مسألة أرض الميعاد بدعوى إضافة رؤية توراتية وتاريخية لملكية أرض فلسطين بتشريع إلهي مبررين بهذا الوعد المزعوم احتقارهم للحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني .

ثانيا : مسألة شعب الله المختار حتى يكون الشعب هو القدوة في العالم ويعتبر الكنائس النصرانية ومن ورائها كل العالم الغربي أنها متضامنة مع شعب الله المختار متضامنة معه حيث أنها مكلفة بالرسالة نفسها ، وبهذا الخلط المستمر بين إسرائيل الواردة في التوراة وبين دولة إسرائيل المعاصرة فإن إسرائيل قد تمكنت من أن تواصل – بدون وازع – القيام بدور الوكيل للاستعمار الغربي الجماعي ، وهذا يوضح كثرة الأموال الطائلة التي تتلقاها من الخارج وبخاصة من الولايات المتحدة ومن الشبكة العالمية للصهيونية التي تمثل أهم مواردها المالية ، كما يوضح إيمان الغرب بالأساطير الصهيونية التي تقوم بها إسرائيل ، وتفسر في الوقت نفسه المساعدات العسكرية الرهيبة التي تمدها بها دون قيد ولا شرط بما في ذلك تجهيزاتها النووية .

إن الأسطورة الصهيونية تستخدم مبررا للتاريخ التوراتي للسياسة التوسعية لإسرائيل ليس فقط من النيل إلى الفرات ولكن كما صرح بذلك آريل شارون منطقة الخليج والمغرب تهمهم أيضا وتثير شهواتهم .

وقد أرفق بالكتاب وثيقة هامة وهي عبارة عن مقال نشرته صحيفة (كيفونيم ريفو) الإسرائيلية بوساطة الحركة الصهيونية العالمية لكاتب من القدماء العاملين في حقل السياسة الخارجية إلى إسرائيل الذي أوضح أن سياسة إسرائيل في الثمانينات ستعتمد على تقسيم جميع الدول العربية على أساس عرقي أو عنصري ، وتاريخ نشر الوثيقة كان في شهر يونية عام ١٩٨٢م في وقت غزو لبنان ، وقد قمت بتوزيعها على سفارات الدول العربية كلها .

فالأردن ينقسم بين الأردنيين والفلسطينيين بعد توظيفهم هناك، والعراق ينقسم بين السنة والشيعة والأكراد، ومصر بكون الصدام بين الأقباط والمسلمين، والجزائر تقوم بإشعال الحرب بين القبائل، والخليج دول ضعيفة لأن معظم سكانها من الأجانب وسيكون من السهل إثارتهم وإثارة الحرب بينهم من أجل البترول .

قضية ضده :

وقد رفعت ضده قضية سببها أنه نشر إعلانا لاثنين من رجال الدين الفرنسيين هما الأب نيسال لولون والأب اثنان مانيو على صحيفة كاملة من جريدة اللوموند يوم في ١٧ يونيو ١٩٨٢م خلال غزو إسرائيل للبنان وحصار بيروت، وكان عنوان الصحيفة (يعد المذابح في لبنان جوهر العدوان الإسرائيلي) وقد استند في القضية على قول (وهكذا تصور إسرائيل علاقة اليهود بإبراهيم على أنها علاقة عنصرية لا تقوم على فكرة الدين المشترك ولكن على وحدة العرق والدم الواحد) ورافعوا القضية يطالبون بتطبيق العقوبات المنصوص عليها في القانون الذي صدر في فرنسا ضد التفرقة العنصرية والذي يعتبر أي محاولة للتفرقة بين فرد وفرد أو مجموعة ومجموعة من الناس بسبب الدين أو العنصر أو اللون جريمة .

وعنوان الكتاب (بين الأسطورة الصهيونية والسياسة الإسرائيلية)، والكتاب يحدد سياسة إسرائيل وحدودها وعناصر التضليل فيها حتى لليهود أنفسهم وهو يركز على ثلاث نقاط محددة وهي :

أولا : الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية .

ثانيا : الصهيونية واليهودية .

ثالثا : إسرائيل في العهد القديم في التوراة وإسرائيل الحالية .

ويناقش الصهيونية الدينية التي ترى أن اليهود من شتى البلاد والأجناس ينتمون إلى إبراهيم أي تجعل ما يربط اليهود هو التعصب وليس الدين وهي دعوة أفحش من النازية حتى أنهم لا يعتبرون في إسرائيل قانون العودة يهوديا إلا إذا كان ممن يريدونها .

يقول جارودي أن النبي داود كانت أمه غير يهودية ولكن يسمح له طبقا لقانون العودة اكتساب الجنسية اليهودية .

هرتزل : كان يريد في بداية الأمر حل المشكلة اليهودية بإنشاء دولة يهودية في أي مكان من العالم يذهب إليها كل يهودي يتعرض للاضطهاد لذلك اقترح أولا أن يكون هذا الوطن (الأرجنتين) وذهب هرتزل إلى المستعمر الإنجليزي "سيسل رودوس" الذي سمي بعد ذلك "رودسيا" وعرض عليه هرتزل فكرة إقامة الدولة اليهودية هناك كمشروع استعماري، ولكن هرتزل وجد أنه لا بد من استخدام الحافز الديني لاكتساب اليهود وذلك بالتحول إلى إقامة هذا الوطن في فلسطين لأن التراث الديني الأصلي والمستمر كان يطالب فقط بحرية الذهاب والحج على أساس أن ما يربطهم بالمكان هو علاقة روحية بحتة وليست علاقة ملكية وإقامة دولة تماما كعلاقة المؤمنين في سائر الأديان بالأماكن المقدسة الخاصة بهم، وبدأت الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية والصهيونية العسكرية في إقامة دولة لا بد لها أن تستمر وتتسع باستمرار، وقد بدأ ذلك من جانب ابن غريون إلى أن سيطرت تلك الصهيونية العسكرية تماما على أيدي أمثال موشى ديان وشارون، وصارت هي المؤسسة الفاعلة في إسرائيل وتكاد تكون منقطعة تماما عن الدين اليهودي .

إفلاس النظام الغربي :

وقد أجرى الأستاذ مصطفى سامي مع جارودي حوارا في باريس نشر في صحيفة الأهرام بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٣م قال فيه : (إن المشكلات الطاحنة التي يعاني منها الغرب هي أكبر دليل على إفلاس النظام الغربي وفشله في تحقيق أي قدر من الاستقرار للمواطن، ومن دراساتي للأديان المقارنة بعد حصولي على الدكتوراة في الفلسفة والأدب بجامعة باريس كان الإسلام باستمرار له الأفضلية في الوقت الذي رأينا فيه الدين اليهودي ينحو إلى نوع من القومية والعنصرية من خلال الدعوة للمحافظة على بقاء الجنس البشري مما أدى إلى انكماشه، ثم كانت الدعوة المسيحية ولكن المسيح كان اهتمامه مركزا على الشئون الروحية على حساب

شئون الدولة والمجتمع، وتلك هي الإضافة التي جاء بها الإسلام .

فالإسلام دين ودولة وكانت تلك هي عظمة الإسلام وقوته وسر انتشاره المذهل في القرن السابع وبداية القرن الثامن، ففي أقل من قرن واحد كان الملايين من أبناء العالم شرقا وغربا يدينون به. والإسلام لم ينتصر بقوة السلاح كما يردد المستشرقون الغربيون .

لقد كان الإسلام ثورة ثقافية أطاحت بمعتقدات الجاهلية لتحل محلها معتقدات وقيم جديدة تنبع من الإسلام، ولقد دخل هذا الدين عقول البشر وقلوبهم وانتشر بسرعة مذهلة وإلا فكيف يمكن لبضعة آلاف من الجنود المسلحين بإيمانهم تحقيق هذه الانتصارات المذهلة على أقوى الجيوش .

لقد احترم هذا الدين قوة العقل في الإنسان وفي قدراته والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والبعد الاقتصادي والاجتماعي في هذا الدين نجده في صفحات القرآن الكريم وفي الآيات التي أنزلها الله لتحكم بين الناس بالعدل، ولم يكن محمد ﷺ مجرد نبي وإنما كان رجل دين ودولة .

والإسلام هو الدين الوحيد الذي ظل ينمو ويتوسع ويكتسب أرضا جديدة ومؤمنين جددا في مختلف مراحل التاريخ، وهو الدين الوحيد أيضا الذي تعرض إلى هذا الحجم الهائل من المؤامرات والغزوات منذ غزو جحافل المغول والتتار ومحاولاتهم الإطاحة بالتراث والثقافة الإسلامية إلى جانب الحملات الصليبية التي فشلت تماما في تحقيق أهدافها العسكرية والثقافية بعد أن بقى أهل البلاد التي نجحوا مؤقتا في إضلالها بحد السيف على عقيدتهم وإيمانهم، وبعد ذلك جاء الانحطاط والجمود الفكري على أيدي القساوسة في العصر الحديث، وأخيرا جاء بونابرت في القرن التاسع عشر ومن ورائه الاستعمار البريطاني وبدأت بعض محاولات النهوض من هذا السبات الطويل الذي استمر عدة قرون طوال فترة الحكم العثماني، لقد حاول محمد علي في مصر وبعده جاءت حركة كمال أتاتورك

في تركيا ، ولكن الحركتين فشلتا لأنهما اتخذتا من الحضارة الغربية نموذجا وحاولا تطبيق مظاهر هذه الحضارة والسير على منهج الغرب في دول إسلامية لا علاقة لشعوبها بها .

وكان من الأفضل أن نعود إلى المنبع وإلى الثقافة الإسلامية التي أخذ الغرب الكثير منها لكي يتقدم وبعد ذلك جاءت محاولات جمال عبد الناصر بالنهوض والتطوير دون التقيد بالنموذج الغربي وهذا ما أعطى القوة لحركته ، وقد بدأ زعيما للعرب والمسلمين وبخاصة خلال أزمة السويس ولكن مؤامرات الاستعمار وأدواته لم تتركه فكانت هزيمة سنة ١٩٦٧م .

إن الحل في نظري للنهوض بالإسلام يكون في فتح باب الاجتهاد وإني متأكد من قدرة الإسلام على الازدهار على أيدي مفكريه من أبنائه ، إنني أعود وأكرر بأن الإسلام ليس مجرد دين إنه فكر وسياسة واقتصاد واجتماع وثقافة وهو ينظم العلاقات بين البشر بالعدل والمساواة ، ويلاحظ أن الدول العربية هي أكثر الدول المؤهلة للوحدة من خلال العقيدة والتراث الإسلامي المشترك .

كيف دخل جارودي في الإسلام ؟

لقد دخل جارودي في الإسلام عن طريق معطيات الحضارة الإسلامية للإنسانية والتي تظهر في العدل الاجتماعي والرحمة والإخاء البشري ، وهذا ما تفتقده الحضارة الغربية الحديثة .

وقد ألف كتاب (حوار الحضارات) وقد اعترف فيه بفضل الحضارة الإسلامية وطالب بالحوار معها ، فهو يرى عطاء الإسلام بعد أن فقد أمله في الاشتراكية حين ترك الحزب الشيوعي الفرنسي .

ويهاجم جارودي الحضارة الغربية ويقول : (إن الحضارة الغربية قامت على فتات موائد الحضارات الأخرى) وهو يرى أن العلوم في الغرب قد ابتعدت عن هدفها الأول المتمثل في خدمة الإنسان وهو يتهم هذه العلوم بأنها قد تحولت إلى سلطة

قائمة بذاتها خارجة عن أية رغبة وشوق إنساني في السعي نحو الأفضل، وما القلق والمرض والفوضى والإحساس بالعبث والفراغ سوى نتائج أولية للصراع القائم بين السلطة التي أفرزتها تلك العلوم وبين الإنسان بعد أن تمحورت تلك العلوم والتقنيات حول حتمية (الإله) في هدف السيطرة على الإنسان والطبيعة معا. وفي الوقت نفسه كانت العلوم الإنسانية -ولم تزل- تهدف في الدرجة الأولى إلى خدمة الإنسان لذلك امتزجت تلك العلوم بالحكمة واتسمت برعاية الأفق الروحي، وأي علم خال من الحكمة هو في النهاية خال من أي مقومات أساسية لتقد الإنسانية .

يدافع جارودي عن التنظيم الإسلامي :

ويرى جارودي في الإسلام خلاصا للإنسانية ويقول: (إن الزكاة نوع من أنواع الضريبة التي تخدم المجتمع وطريقة توزيعها على الخدمات العامة هي الطريقة المثلى ولا يضاهيها في ذلك أي نظام ضريبي) .

ما يملكه الإسلام :

يقول جارودي إن الإسلام يملك قوتين وهما :

- قوة روحية صافية توجه حياة أكثر من ألف مليون مسلم .
- ويملك في الوقت نفسه أكثر ثروات العالم المالية والمعدنية .

ولم يطل الجمع بين هاتين القوتين أكثر من ثلاثين عاما قد تتضاءل بعده الثروة المعدنية كالبترول وغيره، لذلك فإن الإسلام يدعو المسلمين الآن لتحمل مسئولية قيادة المجتمع والسير بالإنسان في طريق جديد إلى أفاق جديدة .

والإسلام اليوم أصلح النظم المالية الكبرى لتحقيق هذه النظرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن خصائص هذه النظرية التوافق بين العلم والإيمان، فالإسلام أقدر الأديان على هذا التوافق لأنه لا يقيم حاجزا بين العبد وربه، ولا يقيم حاجزا بين الأديان وبين الإيمان والمجتمع .

وحوار الحضارات لا يكون ناجحا إلا إذا تخلى الغرب عن سيطرته حتى تستطيع

شعوب الإسلام أن تمتلك إرادتها فتطبق منهج الله تعالى ويقيم مجتمعه على الأرض. عندئذ يمكن أن يتم الحوار بين إرادتين حرتين، أما الآن فإن هناك محاولات للسيطرة والاحتواء من القوى الكبرى تحاول أن تؤخر نهضة الإسلام أو تدمر يقظته أو تفسد انطلاقه .

إن الإسلام يستطيع أن يقدم الكثير للمجتمعات المنطلقة إلى التماسه منهجا لها وإلى الأمم التي لا ترى أنه لا يوجد منفذا للبشرية غيره، والخصائص التي قدمها هي :

أولا : أن الله هو المالك الوحيد والاستخلاف الإلهي للإنسان، والمسلمون كانوا يتجردون مما يملكون تقربا إلى الله .

ثانيا : أن الله هو المشرع الوحيد، وفي ذلك مصدر لصلاح الإنسانية في كل زمان ومكان.

ثالثا : أن الله هو الحاكم الوحيد وقد جعل أساس النظرية الإسلامية الشورى، وعطاء الإسلام يظهر في العلم والمعرفة .

دعوة الإسلام :

ويقول جارودي في كتابه (دعوة الإسلام) : (إن الإسلام يمثل قوة حية ليس في ماضيه فقط ولكن في كل ما يمكن أن يبتكره ويقدمه في الحاضر وفي المستقبل، والإسلام الذي ظل قرونا طويلة مكروها وغير مرغوب فيه من طرف الغربيين كان من آثار الحروب الصليبية أن المسألة مسألة مستقبلنا جميعا) .

معنى الحياة :

وقال جارودي في محاضرة ألقاها في مجمع الإعلام بالكويت : (لا توجد حضارة أغفلت بصورة كلية التساؤل عن معنى الحياة والموت مثل الحضارة الغربية الحديثة فهي تفصل بين العلم والحكمة وبين الوسائل والغايات ومن ذلك إخضاع حقيقة واقعية إلى المفاهيم المالية .

إن القول بأن الفكر الإسلامي هو مجرد مترجم وناقل للفكر اليوناني لا أساس له من الصحة فعلم الرياضيات عند اليونانيين يعتمد على النهائية وفي الإسلام

يعتمد على اللانهائية، والمنطق اليوناني كان نظريا والإسلامي كان تجريبيا، والهندسة اليونانية ساكنة تعتمد على الخط المستقيم وهندسة المساجد سيمونية من المنحنيات فأقواسها وقبابها كذلك، والفلسفة اليونانية هي فلسفة الوجود والفلسفة الإسلامية هي فلسفة العقل فلسفة ثبوتية .

إننا نشهد الآن ما كان موجوداً أيام النبي ﷺ حيث كانت دولتنا عظيمتان تتصارعان وتقسمان العالم إلى كتلتين وهما مذهبان صيغا على منوال واحد ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للإسلام أن يقدم للعالم الشيء الذي يفتقر إليه .

<u>الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية :</u>

أجرى بعض المثقفين حوارا مع جارودي نشرته مجلة الموقف عدد ذو القعدة سنة ١٤٠٣هـ وجاء فيه قوله: (أعتقد أن من أكبر الأخطاء التي ترتكب في محاولات التاريخ وفي كتب التاريخ الغربية هي اعتبار الغرب وحضاراته نتاج إرث مزدوج يهودي ومسيحي ويوناني وروماني وتجاهل الإرث الثالث وهو الإرث الإسلامي وهذا يبدو أمرا هاما جدا لأن النهضة الأوربية لم تبدأ على عكس ما يدرس ويشاع من القرن السادس عشر في إيطاليا بل إنها بدأت قبل ذلك بثلاثة قرون في أسبانيا بفضل انتشار وتأثير الجامعة الإسلامية في قرطبة وبفضل توجيه المؤلفات والمؤلفين العرب بتوجيه من الأسقف "ريمون" أسقف طليطلة والتي سمحت بقيام النهضة الأولى والكبرى للغرب، أما ما هي المؤلفات المنقولة والمترجمة بشكل أساسي فبالطبع كانت المؤلفات العلمية هي الأساس وحتى القرن السادس عشر تم إعادة طبع ونشر الكتب والمؤلفات الطبعة العربية في الغرب مثل كتب الرازي وابن سينا ، حتى إن تمثالهما ما زالا موجودين حتى الآن في المدرج الكبير التابع لكلية الطب في باريس في الطب وفي الرياضيات وفي الفلك والكيمياء وفي معظم المجالات والميادين وهي معلومات هامة تم نقلها وترجمتها ، لكن هذا الإرث الثقافي والعلمي لم يؤخذ منه إلا جزئيا وأنه من المؤكد أن

ما يسمى الآن "الطريقة الاختبارية" من علوم الطبيعة والطبيعيات تعود إلى تأثير العرب ودورهم في الاختبارات العلمية، والشخص الذي يعتبر في أوربا أبا للطريقة الاختبارية هو "روجيه باكون" كان - في الواقع - قد ترجم فصولا كاملة من كتاب علم البصريات لابن الهيثم هو نفسه الذي قال بصدق وأمانة: "إنه بفضل العرب تمكنا من تلقي العلوم وبفضلهم نستطيع تلقيها ونقلها" إذن فإن هذا الأسلوب الاختباري مهم جدا لأنه يتعارض ويختلف مع نظريات اليونانيين ومعادلاتهم التي تعتمد على الأسلوب النظري فقط وهذا الأمر هو إسهام فعال وهام بإعطاء الدفعة الأولى والانطلاق إلى الطريقة الاختبارية في الغرب ويا للأسف فقد أضاع الغرب النصف الأخر من الإرث فإنه مما كان يميز العلوم الإسلامية في أوجها أنها لم تكن تفصل بين البحث عن الأسباب والبحث عن النتائج أي أنها لم تكن تحاول دراسة علاقات الأشياء فيما بينها، وبالتالي الأسباب والسوابق والنتائج والظواهر والقوانين ولكنها كانت تدرس علاقة كل شيء بالله من خلال القرآن بسوره وآياته وذلك يعطي لكل شيء معنى، إلا أن الغرب والثقافة الغربية أضاعا هذه الناحية من الإرث الإسلامي) فقد توقفا عند طرح السؤال لماذا؟ ليطرحها دوما وفقط السؤال كيف؟ .

انحطاط العلم في الغرب :

قال ديكارت في كتابه للأسف: (أنه يجب البحث عن الوسائل التي استعماها الله ليحقق هذا الأمر أو ذاك وليست النتائج التي وصلنا إليها، وكان من نتيجة ذلك أن العلم قد انحط وضاعت أصوله وتحول من علم إلى "علموية" أي الاكتفاء بالعلم للمعرفة البشرية فقط، والتقنية تحولت إلى "تكنوقراطية" والسياسة تحونت إلى "ماكيا فيليه") .

ومنذ ذلك الوقت تحول السؤال لماذا؟، وهذه المدرسة الوضعية قد أثرت بشكل سيء على العلم في الغرب وبخاصة أنها منعت العلم من خدمة نمو وتطور الإنسان

بل إنها قامت في الغالب بخدمة عملية تدمير الإنسان فهم مثلا يتساءلون كيف يمكن الوصول إلى القمر أو كيف نصنع قنبلة ذرية، ولكن كان يجب في الأساس طرح السؤال لماذا الذهاب إلى القمر؟ ولماذا نصنع قنبلة ذرية؟ وليس من الضروري أن تكون هذه الأمور لها الأولوية المطلقة للإنسان إذ أنه بالتمويل ذاته يمكن أن يقوم بأبحاث علمية أخرى ذات فائدة وأهمية أكبر بالنسبة للإنسان من القنبلة الذرية أو القنبلة النووية والصعود إلى القمر، لكن للأسف فإن مثل هذا السؤال لا يطرح في الغرب أبدا .

وكل شيء في الغرب يتم على أساس أن كل شيء ممكن تقنيا هو ضروري ومرغوب فيه. وهذا الأمر خطأ جوهري وأساسي لذلك فإني أعتقد أن العلم الإسلامي - ولا آخذ سواه مثالا - لا ينتمي فقط إلى الماضي بل إنه ينتمي أيضا إلى المستقبل إنها مسألة استمرارية الحياة بالنسبة للإنسانية، إذا لم نطرح السؤال لماذا؟ فإن العلوم والتقنيات تصبح أهدافا ونهايات بحد ذاتها ويصبح العلم للعلم والتقنية للتقنية .

فالعلم والتقنية موضوعان في خدمة إرادة التطور والسيطرة حتى نصل بالتالي إلى المواجهات والتحديات التي نعرفها وإلى الإرادة المدمرة للكرة الأرضية وبخاصة التمويلات الضخمة والموازنات الهائلة التي توضع للأبحاث العسكرية، ففي عام ١٩٨٢م تم صرف ٦٥٠ مليار دولار على التسليح وبمعنى أخر وضع تحت قدمي كل شخص موجود على الكرة الأرضية أربعة أطنان من المتفجرات، وبصورة أخرى إنها المرة الأولى في تاريخ البشرية التي أصبح من الممكن تقنيا محو كل أثر للحياة على الأرض بينما نجد خمسين مليونا من العالم الثالث ماتوا من سوء التغذية، وأنا أتردد في تسمية كل هذا تقدما فمن الصحيح أن هيروشيما تشكل تقدما على أهرامات الجماجم التي أقامها (تيمور لينك) إذ أنه استغرق سبعة أيام لإقامة أهرام من عشرة آلاف جمجمة عندما احتل أصفهان، بينما لم تتطلب

هيروشيما أكثر من سبعة ثوان لقتل سبع أضعاف هذا العدد .

فإذا كنا نحكم على التقدم بهذا الشكل فإنه يعتبر تقدما ، ثم يقول : (إنني لا أتصور أداة أسوأ وأكثر تدميرا للكرة الأرضية من الحضارة الغربية وهذا كله ناتج من عدم طرح السؤال لماذا؟ .

فلسفة اليأس :

ترى هل تستطيع الفلسفة المادية الغربية حل المشكلات الاجتماعية والحضارية القامة في المجتمعات الغربية الآن؟ لقد توصلنا إلى توازن الرعب هذا هو التعبير الدقيق عن عدم التقدم الذي يقال له (التقدم العلمي) .

وبالتالي فإن المواجهات والحروب من الجميع وضد الجميع كما قال (هويس) منذ بداية عصر الرأسمالية : (الإنسان هو ذئب بالنسبة للإنسان) وأعتقد أن هذه الفلسفة غير جديرة بحل هذه المشكلات بشموليتها بحيث يقوم مجتمع حقيقي تتوزع فيه المسئوليات وتنقسم فيه بالتساوي والتكافؤ على عكس ما هو موجود اليوم في المجتمعات الغربية القائمة على تصارع المصالح المتنافسة للأفراد والجماعات والأمم والأحزاب وباختصار فإننا سوف نصل إلى فلسفة اليأس التي تثبت لشبابنا أن الحياة ليست سوى التاريخ ولا معنى لها وهنا أفكر فيما قاله (جان بول سارتر) تحديدا : (الحياة هي عاطفة عبثية وغير ذات طائل) وأفكر أيضا بما قاله (جان مونو) وهو واحد من كبار العلماء في علم الأحياء "البيولوجيا" الذي عمم على كل نواحي الحياة والتاريخ بما يسمى (النظرية الحقيقية للعمل المثمر في البيولوجيا علم الأحياء) .

وقد حاول في كتابه (الضرورة والصدفة) أن يبرهن لنا على أن الحياة الإنسانية والتاريخ لا يتضمنان أي برنامج أو هدف ذي صيغة إنسانية وأنهما يقومان فقط على الضرورة والصدفة .

وأفكر أيضا فيما قاله الكاتب (البير كامو) الذي اعتبر نفسه نبي اللامعقول ،

والعبث يظهر في أن الجميع رددوا الشيء نفسه وانعكس من خلالهم الارتجاج والخلل بدلا من أن يحاولوا تجاوزه والتغلب عليه، إنه حقا إفلاس ثقافي .

ويلاحظ أنني لم أذكر أحدا غير هؤلاء لأنهم حصلوا على جائزة نوبل ولأنهم طرحوا وشكلوا كلا بذاته حالة معينة، لكن هناك آخرون هناك (اللاتيون) الذين يقولون بموت الله، وهناك السيد (نوكو) الذي يتحدث عن موت الإنسان، والسيد (انتوسبير) الذي يقول إن الإنسان هو دمية تديرها الأشكال والهياكل، إنها فلسفات العدم واليأس وهؤلاء الفلاسفة والكتاب هم دعاة (موت كل شيء) وهاجسهم الأوحد هو (الموت) وهذا يعتبر حالة إفلاس ليس فقط لطريقة وأسلوب التطور من وجهة نظر اقتصادية بل وسياسية من وجهة نظر العلاقات الداخلية بين الأفراد أكثر من العلاقات الدولية، وذلك يعتبر أيضا إفلاس وانهيار الثقافتين .

وبقدر ما هو مهم لدول العالم الثالث أن يأخذوا ويستوعبوا العلوم والتقنيات الغربية فإن عليها أن تستوعب العلوم والتقنيات الغربية، إن عليها أن تستوعبها بأسلوب اختياري - أي اختيار النافع - والمهم بطريقة انتقائية أي برفض السيئ والهدام وليس الأخذ كيفما اتفق، وأن تنتبه جيدا الثقافات التي تمثل كافة القشور مثل فلسفة الحياة التي تبنى على هذه العلوم والتقنيات والتي هي اسم حقيقي بالنسبة للثقافات الأخرى .

مبشرات الإسلام :

كتاب ألفه رجاء جارودي وفي هذا الكتاب دعوة صريحة للغرب كي يراجع موقفه المتصلب والمتغطرس من دين يدعوا إلى وحدانية الله وسموه وهو يخاطب جمهورا غير إسلامي يسعى إلى إنقاذه من قصر النظر والأحكام التعسفية وإلى إيجاد جو يساعد على تناغم مثمر بين مختلف الحضارات العالمية .

ويرى أن أوربا قد استمرت في تجاهلها للإسلام عبر قرون عديدة ولم تر فيه غير عدو لدود ولم يتبدل موقفها حتى يومنا هذا حيث تثيرها النهضة الإسلامية

وتيارات الدعوة إلى الاستمساك بالشريعة وتحدث لديها القلق والريبة مع أنه ليس من الإنصاف في شيء أن يعتبر الإسلام كفرا كما كان الحال في عصر الحروب الصليبية أو إرهابا مثلما كان يوصف به إبان حرب التحرير الجزائرية .

طبيعة ومضمون الرسالة الإسلامية :

لم يشأ الإسلام أن يفصل الحكمة عن العلم ولم يقبل معالجة أي فرع من فروع العلم بمعزل عن العقيدة التي هي هدف في ذاتها، ومعنى الوجود نفسه فكل ما في الطبيعة مظهر من مظاهر وجود الله، فليست معرفة الطبيعة شأن العمل الإنتاجي إلا شكلا من أشكال العبادة المقربة إلى الله لهذا أسهم المسلمون بعلمهم في اندماج ميراث شتى الثقافات العالمية الكبرى .

وتحدث جارودي عن انفتاح الإسلام على الحضارات الأخرى وتسامحه وقال: (تتجلى هاتان الخصلتان في قبوله وحمايته أفرادا وجماعات ومجتمعات غير إسلامية، فقد تقلد يهود ونصارى وأعضاء طوائف أخرى وظائف هامة في حكومات إسلامية عديدة وحظيت أديان مختلفة بكامل الحقوق والرعاية وسمحت السلطات لغير المسلمين بممارسة شعائر دينهم دونما تضييق .

ومن هذه النقطة يتدرج جارودي ليؤكد أن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح ولم يسل النبي صلوات الله وسلامه عليه السيف إلا في حالة الدفاع عن النفس .

ويشير إلى الحديث النبوي القائل: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) ويعني بالجهاد الأكبر محاربة هوى النفس، ثم يقول: ويعد هذا الموقف النبوي درسا هاما لكل الثوريين الذين يحاولون تغيير كل شيء ما عدا أنفسهم فقد كان الصليبيون في القدس والأسبان إبان مطاردة المسلمين في الأندلس، والأوربيون في أثناء استعمار بلاد الهنود الحمر بأمريكا يقومون بأعمال بشعة بدعوى فرض النصرانية وهم أول من يناقضها في كل التصرفات .

ويلاحظ أن المبدأ الذي يقضي بوضع الخالق سبحانه وتعالى فوق كل شيء هذا

المبدأ يقضي إلى تساوي جميع البشر دون استثناء الأمر الذي جعل الإسلام دعوة لتحرير الشعوب المقهورة سياسيا واقتصاديا ودينيا فقد منح الأمل لجميع المضطهدين وطمأن قلوبهم فسرعان ما انضموا إلى صفوفه وساعدوه على مناهضة إمبراطوريات كبرى مثل فارس وبيزنطة فانهارت الواحدة تلو الأخرى أمامه ولم تكن قوته تقارب قوة تلك الممالك عددا ولا عدة فمن السذاجة حقا تصور انهيار تلك الإمبراطوريات بفعل السلاح .

وفضلا عما سبق فإن الفتح الإسلامي لم يشكل استعمارا فقد استقبل مثلا شعب أسبانيا الفاتحين المسلمين الذين أنقذوهم من طغيان وغطرسة سلطات بلادهم الروحية والزمنية فلم يقاوموهم ، ولعل أصدق صورة تعكس هذه الحقيقة هي أن العرب فتحوا الأندلس في بحر سنتين فقط في حين تطلبت استعادتها منهم ثمانية قرون .

حقوق المرأة في الإسلام :

ويتعجب جارودي من تعصب الغرب الأعمى في موضوع حقوق المرأة في الإسلام ، ثم يقول إن القرآن منح المرأة حق امتلاك الأموال دون قيد ولا شرط بينما لم تنل هذا الحق في أغلب تشريعات الغرب إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ولم يعتبر الإسلام المرأة مسئولة عن الخطأ الأول وإنما كان الخطاب موجها إلى أدم عليه السلام .

مفهوم العصرية :

في نهاية الكتاب يتحدث جارودي عن مفهوم العصرية فيقول : إن الأمر يتعلق بمصيرنا -مصير الجميع- حيث مصير المعمورة مرهون بالإسلام ، ومن الملاحظ أن العائق الأساسي لرؤية الحقيقة هو ما تكنه أوربا للإسلام من كراهية حتى اليوم ، ولا تعني العصرية سوى تثبيت نمط من الحياة مقتبس من شعوب أخرى خيرا كان أو شرا استجابة لحاجات الأجانب ، وقد أدى هذا التيار بالمسلم إلى أنه أصبح جسما غريبا عن نفسه وعن أهله وعن تاريخه وثقافته ومصيره الخاص ، فما يطلبه

أنصار هذا التيار من العالم الإسلامي هو نقل منوال التطور في الغرب بحذافيره أي العودة إلى الوراء .

الإسلام دين المستقبل :

عنوان كتاب ألفه جارودي وجاء في مقدمته ما يأتي :

(في ألمانيا الديموقراطية أقيم حوار مفتوح ضم صفوة الفكر العالمي من رجال الدين المسيحي ورجال الفكر الإسلامي وقد خرجوا بعدها بوثيقة مفادها أن الله واحد لا شريك له وأن عيسى ومحمد صلوات الله عليهما رسولان من عند الله) وقال جارودي في نهاية الندوة :لقد وجدت في الإسلام ضالتي فلا إكراه في الدين.

وتحت عنوان ذكره جارودي (نحو لقاء مع الإسلام) قال : هذا الكتاب يعمل على إظهار الإسلام كدين ومستقبل، فالإسلام عمل على إخصاب الثقافات العالمية ونشرها من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي ومن سمرقند إلى نوفيكو أقدم وأسمى ثقافات الصين والهندوس والفرس واليونان والإسكندرية وبيزنطة، بل إنه قدم لإمبراطوريات متفككة ولحضارات محتضرة روح حياة جماعية جديدة، وردَّ للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشرية والإلهية المميزة وروح الجماعة والتسامي، والإسلام هو النظرة إلى الله والعالم والإنسان والتي تفرض على العلوم والفنون وعلى كل إنسان وعلى كل فكرة ومجتمع، وقد استطاع الإسلام إنقاذ إمبراطوريات عظيمة من التفكك في القرن السابع، ترى هل في إمكانه في وقتنا هذا أن يقدم إجابة على قلق الإنسان وتساؤلات الحضارة الغربية التي أظهرت في أربعة قرون أنها قادرة على حفر قبر على مستوى العالم؟ إن الإسلام هو دين وأمة إيمان ونظام حياة متكاملين وهو القادر على إنقاذ الغرب مما هو فيه من هموم. إن ظهور النبي وانتصاره في الجزيرة العربية والتقدم اللامع الذي حققه خلفاؤه من بعده لا يمكن فهمه دون الاعتراف بالمكانة الأولية للرسالة الإسلامية المميزة، إن انتصار الإسلام لا يمكن فهمه دون أن نفهم الإسلام كإيمان وكأمة قامت على أساس

هذا الإيمان، إن النبي محمدا يجدد الإيمان الجوهري الذي وجد في إيمان إبراهيم التعبير المثالي له، والأمة الإسلامية أمة نبوية قامت على التجربة المشتركة من أجل إعلاء كلمة الله، وإعلان الإسلام معناه استبعاد كل شكل من أشكال الشرك ويجعل القوة والثروة نسبيتين، إن الإنسان وكيل عن السلطة وعن الثروة ومسئول عنهما، وهذه المشاركة تمكن الإسلام من تقديمها اليوم من أجل قيام مستقبل ذي طابع إنساني في عالم يبتعد عن التسامي ويعمل على تقويض الجماعة بسبب الفردية وجعلت من غير الممكن قيام ثروات على الطريقة الفردية .

كتب المستشرق (دوزي) في كتابه (تاريخ مسلمي أسبانيا) : أن الفتح العربي كان خيرا لأسبانيا فقد نتج عن هذا الفتح ثورة اجتماعية هامة أخفت جزءا كبيرا من الآلام كانت تئن تحتها البلاد منذ قرون، إن أحد الأمثلة اللامعة لإنجازات الإنسان هو الجهاد المزدوج على غرار الأمير "عبد القادر الشهيد" شاهد على الحقيقة والإيمان، فتضحية الشهادة إما أن تحصل في معركة حيث يؤمل بالنصر وإما أن يكون موتا مقبولا عمدا مع اليقين بالهزيمة المباشرة، إن الشهيد شاهد باسم الحق والإيمان أنه في استشهاده إسهام في نصر هذا الحق وهذا الإيمان، لقد أوجد الإسلام الظروف الضرورية لتجديد شباب العالم بإيجاد مجال عالمي للتبادلات والثقافية حيث بدأت تختلط بثروات وثقافات القارات الثلاث وحيث أصبحت الإسكندرية ملتقى كل العلوم وكذلك كل الثقافات، وقد قدم العرب لهذه الأمة المنتشرة من حيث الثقافة والتجارة كل قوى الحياة لأغنى وأقدم ثقافات العالم كما حملت لهم هذه اللغة إيمانا مشتركا حيث جعلت كل فرد منهم لا يُنكر حكمة ربه بل إنه يجد الأمن والراحة والطمأنينة .

إخفاق الغرب :

يقول جارودي إن ما يميز حياتنا -في الوقت الحالي- في نمط التطور الغربي ينفي نموذج الثقافة الذي يدعمه إنه تفكك الإنسان وتصدع المجتمع، لقد فقد الإنسان

الغربي كل علاقة له مع الطبيعة ومع المجتمع ومع الله، الإنسان الغربي انفصل عن الطبيعة وهو يعتقد أنه سيدها وأصبح يتلاعب بها، والإسلام حين لا تفسده الرؤية الغربية المشوهة التي فرضها الاستعمار يمكنه أن يساعدها في وعي هذه الوحدة التي هي جوهره الأساسي.

ومنذ النهضة حكم على الإنسان في المجتمعات الغربية بالعزلة والانفصال عن الآخرين بسبب الفردية التي ظهرت في الغزوات الاستعمارية وفي المنافسات الوحشية في الاقتصاد التجاري وبسبب تقنيات الطمع وفرض احتياجات مصطنعة كبديل حقيقي لإشباع الرغبة والأنانية، وهذا النظام يولد العنف في مجتمعات حرم منها أشياء كثيرة وجرى الشباب وراء شهواتهم.

وإعلان حقوق الإنسان الذي يصرح بأن حريتي تتوقف حيث تبدأ حرية الآخرين فحرية الآخرين حد وليست شرطا لحريتي الخاصة وهذا يؤدي إلى حرب الجميع ضد الجميع، ويمكن للإسلام الذي يربطه كل شيء بالله أن يكون بداية تحرر ونضال ضد كل أشكال التسلط والعبودية المفروضة على الإنسان، وقد استطاع الإسلام أن يلعب دورا أساسيا في المواجهة والتحرر كما حدث في الجزائر وأفغانستان وإيران ضد الاضطهاد الداخلي وضد النموذج الغربي الذي فرض عليها.

النظام التثقيفي:

لقد قدم المسلمون أكثر الإسهامات في الثقافة العالمية وذلك بوساطة إيمانهم فقد تمثلوا التراث الثقافي ولم يدمروه، وحكمة الإسلام تجمع كافة العلوم في كل عضو فما الكون إلا مشهد ديني، وليس في الإسلام فاصل بين علوم الطبيعة وعلوم المرئيات من جهة اللاهوت والفن من جهة أخرى فليس هناك حاجز بين مختلف العلوم من الرياضيات والجغرافيا وغيرها، والمفكرون في الإسلام يعدون بالعشرات وقد تفوقوا في مجالات كثيرة منهم الكندي والرازي والبيروني وابن سينا.

والرؤية التوحيدية تفسر الأهمية التي أعطتها الحضارة الإسلامية لتصنيف العلوم ويبقى تعليم وحدانية الله، ووحدة الطبيعة أساسا لكل معرفة في جميع الجامعات وليس هناك فاصل بين أمكنة التعليم وأمكنة البحث الأخرى، والعلوم الإسلامية تصلح للمستقبل كما صلحت في الماضي وحين نستوعب العلوم الإسلامية لا نجد فصلا بين العلم والعقيدة، بينما النزعة العلمية الغربية تجعل للعلم قيمة مطلقة بذاتها دون النظر إلى الأهداف السامية إلا تحقيق النمو، فالرياضيات في المنظور الإسلامي هي نقطة اتصال بين المحسوس والمفهوم.

من الفن إلى الصلاة :

يلاحظ في الفن الإسلامي وحدته العميقة، والمسجد مركز إشعاع لكافة نشاطات الأمة الإسلامية وهو نقطة الالتقاء التي تتجه إليها كافة الفنون، ومحور كل جامع هو قطعة من شعاع يتجه نحو الكعبة في مكة، وهكذا ينشأ في كل مسجد شعور بالاتحاد مع مركز العالم وهناك توافق بين بنية المسجد ووظيفته فإنه لا يشبه الكنيسة المسيحية ولا المعبد الإغريقي لأنه ليس إطارا يحتفظ فيه بزفاف قديس ولا مكانا لاحتفالات مسيحية، ويمتد المسجد بحيث يسمح لأكبر عدد من المؤمنين بالوقوف في مواجهة القبلة مباشرة .

والأشكال الوحيدة التي تكون في المسجد هندسية لأن القانون الأساسي في الإسلام يحتم أن لا يكون انتباه المصلين مشتتا خلال تأملهم في الوحدة الإلهية ويذكر منا تعدد الأشكال وتكرارها بمبدأ التوحيد والمدينة حول المسجد مجتمع ينبت في بيئته التسامي ولا يعرف الحدود بين ما هو دنيوي وما هو مقدس، والتوزيعات والخطوط نفسها تتكرر على مختلف المواد .

إعجاز الإسلام :

وهكذا يتضح لنا أن الإسلام هو الرؤية الصحيحة للعالم كله ولكل إنسان ولكل مجتمع بناء على علم رباني يحتوي على البعد بين البعد الإنساني والبعد

الاجتماعي ، ولهذا كان من السهل أن يحطم الإسلام الإمبراطوريات القائمة في وقت قصير ليس بقوة السلاح وإنما بقوة الدعوة الإسلامية التي دعت إلى المساواة بين البشر وجعلت شعوب هذه الإمبراطوريات تتقبل الإسلام بسهولة لتخرج من ظلم الاضطهاد التي كانت ترزح تحته في ظل الإمبراطوريات الظالمة .

الخاتمة

الحاجة إلى الإسلام في العصر الحاضر حاجة ماسة لأنه سينقذ العالم كله من الديكتاتورية والظلم المسيطر بقوة السلام وبقوة الإعلام وبقوة الغذاء وغير ذلك.

إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمد ﷺ ليكون رحمة للعالمين وينقذهم من المفاهيم الخاطئة والسلوكيات المدمرة والعصبية المنتشرة إلى جانب ظلم العبيد وظلم المرأة وظلم الضعفاء وغيرهم، وقد ظهر الإسلام على يد رجل واحد في جزيرة صحراوية وكان في ذلك الوقت جماعات قليلة من الناس يعيشون في هذه الجزيرة ومع ذلك استطاع الإسلام أن يؤسس حضارة رائعة امتد تأثيرها في العالم كله حتى ذلك العصر الذي نعيش فيه والإسلام لم يكن بعد ذلك الدين الكافر كما كان يطلق عليه في عهد الصليبيين والمسلم لم يكن ذلك الإرهابي الذي كانوا يطلقون عليه في عهد التحرر الوطني الجزائري والفلسطيني حاليا ولم يعد الإسلام مجموعة قطع تراثية شرقية محفوظة في متاحفنا ولم يعد قوة عسكرية زاحفة مخيفة .

الإسلام في كلمة واحدة دين شامل كامل لا يتجزأ وهو أيضا مجتمع قوي يعمل على تحقيق رسالته التي رسمت له وإلى جانب ذلك فهو أسلوب رائع في الحياة وعقيدة شاملة تطبع في الإنسان الطمأنينة والراحة النفسية والإحساس بالقرب من الله تعالى وهذا هو الذي جعل عددا كبيرا من علماء الغرب ومفكريه يدخلون في الإسلام عن اقتناع كامل وتحدثوا عن سبب إعجابه بالإسلام ولماذا دخلوا فيه وأصبحوا يدافعون عنه، وقد وجد عدد من النساء الغربيات اللاتي يحملن مؤهلات عليا في الإسلام ضالتهم المنشودة ورأو فيه نورا يضيء لهم الطريق فاتبعوا هذا النور فأسلموا وحسن إسلامهم وصبروا على إزاء أقوامهم ولخصوا الأسس التي أعجبتهم في الإسلام فيما يلي :

١- وحدة الإله الذي خلق السماوات والأرض والذي أرسل الرسل لهداية الناس

جميعا ووجود حساب وثواب وعقاب .

٢- البساطة والمنطقية والقابلية للتطبيق .

٣- وحدة الروح والمادة .

٤- الإسلام نظام حياة كاملة يهدف إلى تنقية الروح وإعادة بناء المجتمع على أساس قويم .

٥- الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

٦- عالمية الإنسان وإنسانيته .

٧- الثبات والتطور .

٨- تعاليم الإسلام سجل لا يتطرق إليه التحريف . وقد جاء الإسلام مفصلا .

ومن الذين دخلوا في الإسلام الراهبة الكاثوليكية والكاتبة الإنجليزية (كارين أرمسترونج) وقالت لقد هجرت الرهبنة وطلقت الكاثوليكية وألفت كتابا عن سيرة محمد ﷺ حاولت فيه أن أنصف الإسلام وقد قمت بتصحيح المفاهيم بهدف نشر ما أعتقد أنه رسالة الأديان (القبول والمحبة والإيمان) وبما أن الغرب هو القوة المهيمنة اليوم على العالم فإن النتيجة تظهر في زيادة المعاناة الإنسانية وتعميق الفرقة والقطيعة بين الإسلام والغرب واتخذت من ردود فعل المسلمين إزاء كتاب سليمان رشدي (آيات شيطانية) ومن ترحيب الغرب البالغ فيه وازدرائه بمشاعر المسلمين وقالت إن الإسلام دين الاستمرارية مع الماضي وعقيدة سلم وتسامح ، وعلاقة محمد ﷺ مع نسائه كانت علاقة محبة حميمة دافئة وكان يعدل بينهن قدر استطاعته البشرية كما كان يستشيرهن في الأمور العامة والخاصة كما أن تشريع تعدد الزوجات جاء حدا للممارسات الشهوانية وانتهاك المرأة الجسدي والاجتماعي ، وتقول : إن عداء أوربا المسيحية للإسلام بدأ حينما شعر الغربيون بتهديد كيانهم وهويتهم وبناء على ذلك وعلى أسس من الجهل التام بالقرآن وبمحمد ﷺ وبالإسلام بنوا سموم الكراهية واختلقوا الأساطير وخاضوا الحروب الوحشية المدمرة ضد المسلمين والإسلام ، وفي النهاية تقول : أن محمدا ﷺ أتى

بالإسلام دين السلام الذي لن يختفي أو يتوارى أبدا وأن بقاءه في عنفوانه وقوته هو خير للبشرية لأنه يدعو لإرساء قواعد الحب والعدل والسلام الإنساني .

والقس السنغالي (توماس كارسن) يقول : الإسلام أخرجني من الظلمات إلى النور ووجدت في الإسلام المعتقد الحقيقي للإنسان حيث الوحدانية لإله واحد لم يشترك معه أحد في خلق هذا الكون وإبداعه له وهو واحد قادر على كل شيء ، ويقول : لقد شعرت بأنني كنت في غياهب جب عميق لا يسمع إلا صدى صوته فقط فإذا بي أخرج من هذا الجب المظلم إلى النور لأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله جاء بالحق الذي يجب أن يتعرف عليه العالم وتسميت باسم (محمد فوما جارت) ، ثم يقول :إن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا وفي القرآن الكريم كل شيء عن الحياة ، وعلى الناس جميعا أن يعرفوا أن هذا الكتاب لم يأت لفئة معينة بل جاء للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان ليخلق المجتمع الإسلامي الذي يجب أن يكون فلن يميز بشرعه جماعة على جماعة أخرى لأي سبب ، والتعاليم الإسلامية في بساطتها تعطي الإنسان مطلق الحرية التي يبحث عنها في تكوين الرأي في الإسلام حرية مسئولة لا تخدش حياء أحد من غير المسلمين ، إنه الإسلام الذي أرسل الله تعالى به عبده المختار ليكون رحمة للعالمين وهداية لأصحاب العقل السليم وترسيخا للربوبية لأصحاب العقول التي تعمل تحت راية التوحيد .

وهكذا نرى أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن ، والمثقفين من غير المسلمين يحثون بأن الإسلام هو المنقذ الوحيد للحضارة الغربية التي تسير إلى الانهيار بسبب انعدام الجانب الروحي والرؤية الأخلاقية السليمة ، وفي النهاية (إنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

علي القاضي

الفهرس

كتب صدرت للمؤلف

١ - أضواء على التربية في الإسلام .
٢ - وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .
٣ - جامعات يوسف .
٤ - الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية .
٥ - دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة .
٦ - ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .
٧ - علم الإنسان في القرآن الكريم .
٨ - الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية .
٩ - الإسلام يدلل المرأة .
١٠ - معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام .
١١ - الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .
١٢ - أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية .
١٣ - مفاهيم إسلامية .
١٤ - أوسمة إلهية لخير البرية . ١٥ - لماذا أسلمنا ؟ .
١٦ - أضواء على شخصيات إسلامية متميزة .
١٧ - أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي .
١٨ - أضواء على الحضارة الإسلامية .
١٩ - الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة .
٢٠ - خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها .
٢١ - رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم .

كتب تحت الطبع

١ - المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي .
٢ - الحكمة في التشريعات الإسلامية . ٤ - أوسمة نبوية .
٣ - أضواء على كتب إسلامية حديثة . ٥ - الإتكيت (فن الذوق) .
٦ - المدينة المنورة عند الهجرة . ٧ - مكة المكرمة عند الهجرة .